جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

مذكرة ماستر

العلوم الاجتماعية

فلسفة

فلسفة عامة

رقم:

اعداد الطالب:

زهرة عبد الحفيظ

يوم:2020/10/10

مجالات الإصلاح عند محمد عبده

لجنة المناقشة:

حمدي لكحل	أ مح ب	جامعة محمد خيضر-بسكرة	مقرر
حميدات صالح	أ مح ب	جامعة محمد خيضر-بسكرة	رئيسا
كشكار فتح الله	أ مح ب	جامعة محمد خيضر-بسكرة ة	مناقشا

السنة الجامعية: **2020/2019**

بسم الله الرحمان الرحيم

شكر و عرفان

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنني أشكر الله وافر الشكر أن وفقني وأعانني على إتمام هذه المذكرة، ثم أوجه آيات الشكر و العرفان بالجميل إلى الأستاذ الدكتور "حمدي لكحل" المشرف على المذكرة الذي منحني الكثير من وقته، وكان لرحابة صدره و سمو خلقه وأسلوبه المميز في متابعة البحث أكبر الأثر في المساعدة على إتمام هذا العمل، وأسأل الله العلي القدير أن يجازيه خير الجزاء وأن يكتب صنيعه في موازين حسناته، ويدعوني واجب الوفاء و العرفان بالجميل أن أشكر كل أساتذة قسم الفلسفة عامة، الرئيس قسم الفلسفة الأستاذ الدكتور "لعقيبي لزهر" الذي كان أب الجميع بحق توجيها وخدمة للطالب، وكذا أود أن أشكر كل من علمني حرفا أو كلمة أو فكرة منذ نمو ذاتي إلى يومنا هذا.

كما لا يفوتني أن أشكر الأساتذة الذين سيشرفون على مناقشة هذه المذكرة، كما لا انسى أن أشكر كل من ساعدني لإنجاز هذا البحث وإلى كل من ساهم من قريب او بعيد في تشجيعنا و نصحنا و مساعدتنا ولو بالقليل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الإهداء

أهدي هذا العمل البسيط إلى معنى الحب و الحنان، إلى بسمة الحياة و سرور الوجود إلى من كان دعاؤها سر نجاحي، وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى حبيبة في وجداني من غير منافس إلى أمي ثم أمي ثم أمي.

إلى تاج رأسي وقرة عيني، إلى أحن و أكبر قلب، إلى صاحب الفضل الجزيل و الدعم المتواصل إلى من غرس بذاتي المبادئ و الاخلاق إلى أبي الغالي.

إلى من نشأت و ترعرعت بينهم إخوتي وأخواتي بهية الهاشمي زينب يونس نذير عبد الرحيم محمد فيصل و إلى روح الفقيد وطير من طيور الجنة عبد الجليل. وإلى اختي الصغيرة مرام بسمة البيت و بهجتها.

إلى جميع الأصدقاء: أسامة(السعيد)، غاني، طاهر، نور الدين، حسام، سمير، منير، شريف، يعقوب، توفيق.

إلى كل أعمامي و أخوالي، عماتي و خالاتي، إلى كل عائلة زهرة.

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي و لم تسعهم مذكرتي.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
صفحة الواجهة	
شكر وتقدير	
الاهداء	
مقدمة	أ-ب-ج
الفصل الأول: مقاربات مفاهيمية للفكر الإصلاحي في العالم الإسلامي	04
تمهيد	04
المبحث الأول: تعريف الإصلاح وأهدافه	05
1- المطلب الأول: تعريف الإصلاح لغة واصطلاحا	05
2- المطلب الثاني: أهداف الإصلاح	07
المبحث الثاني: أهم الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي	10
1-المطلب الأول: الحركة الوهابية	10
2-المطلب الثاني: الحركة الإصلاحية عند الأفغاني	13
الفصل الثاني: الأسس الإصلاحية لمشروع محمد عبده	18
تمهيد	20
المبحث الاول: مصادر فكره ونشأته	21
المطلب الأول: مصادر فكره	21
المطلب الثاني: مولده و نشأته	24
المبحث الثاني: الإصلاح الديني و التربوي	29
المطلب الأول: الإصلاح الديني	29

المطلب الثاني: الإصلاح التربوي	33
المبحث الثالث: الإصلاح الاجتماعي و السياسي	39
المطلب الأول: الإصلاح الاجتماعي	39
المطلب الثاني: الإصلاح السياسي	43
الفصل الثالث: النقد و التقييم لمشروع الإصلاح لدى محمد عبده	48
تمهيد	49
المبحث الأول: : الانتقادات الموجهة لمحمد عبده و مشروعه	50
المطلب الأول: الانتقادات العربية الموجهة للمشروع الإصلاحي	50
المطلب الثاني: الانتقادات الغربية الموجهة للمشروع الإصلاحي	53
المبحث الثاني: تثمين المشروع وامتداده في الفكر العربي	55
المطلب الأول: تثمين ما جاء به محمد عبده	55
المطلب الثاني: امتداد فكره الإصلاحي عربيا و عالميا	58
خاتمة	67
قائمة المصادر والمراجع	71
الملخص	76

مقدمة

مقدمة:

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر و النصف الأول من القرن العشرين، في الوطن العربي، بزوغ فجر جديد وظهور مذهب إصلاحي يؤذن ببداية نهضة إسلامية و عربية حديثة، ومرحلة قاسمة بين عصور الجمود الفكري الذي ران على عقول الناس وقلوبهم ردحا من الزمن، والتقاليد البالية التي قهقرت أحوال العامة، و الاستبداد و الاستعمار الغربي، إلى مرحلة جديدة و الى حركة إصلاحية متميزة شملت مختلف المجالات الفكرية، الدينية، الاجتماعية، السياسية بقيادة جماعة من المصلحين وعلماء وطنيون ومفكرون تميزوا بالموسوعية في تكوينهم، وبالمزاجية بين الأصالة و المعاصرة في أفكارهم و أعمالهم ومن أمثالهم "محمد بن عبد الوهاب، جمال الدين الأفغاني..."

وفي كنف هذه التغيرات و التطورات، كانت مصر تعيش حالة من التغيرات في الأوضاع الدينية، الاجتماعية و السياسية و الثقافية بفضل سادة الإصلاح، ورواد الصحوة و النهضة، ويعد الأستاذ الإمام "محمد عبده" أحد هؤلاء الأعلام الأفذاذ الذين انجبتهم الأمة المصرية و من الذين ناضلوا في سبيلها و في سبيل أيقاظ الأمة العربية و الإسلامية قاطبة.

الإشكالية:

ماهي المجالات التي استهدفها محمد عبده في تجربته الإصلاحية؟ وإلى أي مدى نجحت أفكاره في تحقيق المبتغى منه؟

تتفرع هذه الإشكالية إلى الأسئلة التالية:

*ماذا نعني بالإصلاح؟ وماهي أهم تداعيته على العالم العربي؟

*ماهي أهم المرتكزات الإصلاحية لمشروع محمد عبده؟ وكيف تجسيد الوسطية الإسلامية في ضل الرهانات الحديثة؟

ماهي ردود الفعل حول مشروع محمد عبده؟ وما مدى نجاعته؟

الأهداف:

أما اختيارنا لهذا الموضوع فيرجع لعدة أسباب ذاتية وأخرى موضوعية ، أما الأسباب الذاتية فيتمثل في شغفنا الكبير بالفكر الفلسفي الإسلامي قديمه و حديثه ، أما الموضوعية

منها فتتعلق بإبراز النزعة الفلسفية في فكر الأستاذ الإمام محمد عبده، وتصوره العميق الذي يرمي إلى نظرة مستقبلية توقظ كل أطراف هذه الأمة.

المنهج:

وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التاريخي وهذا ما فرضته طبيعة الموضوع، وكذلك المنهج التاريخي وذلك من خلال تتبع السياق التاريخي للمشروع الإصلاحي لمحمد عبده، وكذلك فيما يخص مراحل تطور هذا المشروع الإصلاحي وقيامه.

خطة البحث:

واستجابة للمشكلة المطروحة تم وضع خطة متكونة من ثلاث فصول، والتي كانت على الشاكلة التالية:

الفصل الأول: تناولنا فيه تعريف الإصلاح وأبعده في الفكر العربي الحديث، لأن أدبيات البحث تفرض تحديد الاطار المفاهيمي العام لموضوع البحث، وأدرجنا فيه ثلاث مباحث كانت كالتالي:

المبحث الأول: تم فيه تعريف الإصلاح لغة و اصطلاحا، كما تطرقنا الى الأهداف المرجوة من الإصلاح سواء على الصعيد العام أو الخاص.

المبحث الثاني: وفيه تحدثنا حول مظاهر الإصلاح في الفكر العربي الحديث و الحركات التي كانت الشرارة الأولى في ذلك وكانت أولى الحركات هي الحركة الوهابية، وتطرقنا إلى باعث النهضة الإصلاحية في العالم الإسلامي حديثا وهو جمال الدين الأفغاني.

الفصل الثاني: والذي تعرضنا فيه لأهم معالم مشروع الإصلاح عند محمد عبده الذي يعد من أبرز المواهب الفذة الذين ساهموا في بعث الأمة وكانت الظروف التي عاشها أكبر دافع قاده نحو الإصلاح، ولتبيان هذا كله كان لزاما ان نتعرف على مصادر فكره

ومولده وتكوينه العلمي و آثاره. وكذلك مضامين المشروع الإصلاحي لمحمد عبده التي تمحورت أساسا حول: الإصلاح الديني والتربوي والإصلاح الاجتماعي والسياسي.

الفصل الثالث: أما عن هذا الفصل فكان للتقييم والنقد لمشروع الإصلاح لدى محمد عبده. أي تعرفنا فيه على الانتقادات التي تعرض إليها الأستاذ الإمام شرقا و غربا ، كما قمنا بتثمين ما جاء به، كما قدمنا بعض النماذج التي سارت على نهجه و استكملت خطواته الإصلاحية وطنيال و عالميا.

وخاتمة تضمنت أهم نتائج الدراسة و البحث، حاولنا فيها أن نجيب عن الإشكالية العامة.

الصعوبات:

ولقد صادفنا في إنجاز هذا البحث العديد من الصعوبات والعراقيل أهمها ، استقطاب الخطاب الفلسفي المدمج بالعاطفة الدينية تارة أو بالمجالات الأخرى كالسياسية و الاجتماعية وغيرها من الأحداث التاريخية.

وقصارى القول، نتمنى أننا قد وفقنا في الإلمام ولو ببعض جوانب الموضوع، نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلافنا لافيه.

الفصل الأول

مقاربات مفاهيمية للفكر الإصلاحي في العالم الإسلامي

الفصل الأول: مقاربات مفاهيمية للفكر الإصلاحي في العالم الإسلامي

تمهيد:

لعل الصراع الحضاري في كل حين لم يعرف السبات فقيام أمة يعني بالمقابل زوال أخرى وهذا ما شهده العالم ابتداء من القرن الرابع عشر إلى القرن السادس عشر بالضبط حيث حدثت جملة من التحولات انعكست على المجتمع الأوربي، حتى بلغ فيها الحداثة منتفضا عن الرجعية الدينية و سيطرة آباء الكنيسة، عائدين إلى الوعي و دور العقل وهكذا عرف تطور في شتى المجالات. وأمام هذا النموذج الجديد عرفت بلاد الإسلام و العالم العربي تقهقرا وشهدت جملة من الأزمات جراء التشتت العقائدي و السياسي و الاجتماعي وذلك بزوال الخلافة الإسلامية ،لكي يخضعوا فيما بعد للهيمنة الاستعمارية المستبدة و ما نتج عن ذلك من تغييب حضاري. كل هذه العوامل دفعت الغيورين على الأمة برفع لواء الإصلاح و التجديد و النهضة، وأيقاظ العالم العربي و الإسلامي، من هذا الركود و الخمول، ونظر لهذا الإصلاح نخبة من المصلحين، تباينت برامجهم الإصلاحية بين الدعوى الى الاعتزاز بالتراث الإسلامي و الحضارة الإسلامية ورفض المستدمر و طلب الحرية بشتى الأساليب، إما العودة الى السلف أو الوسطية ضد الغلو الديني و التطرف المذهبي وهناك من حذا حذوا يفضي الى الاقتداء بالنموذج الغربي ومواكبتهم من أجل النهضة و الإصلاح.

اذا كل هذا يدفعنا الى تحليل التصور الذي يكنه دال الإصلاح و الأهداف المرجوة منه في عالمنا الإسلامي. كما يفضي بنا إلى تحليل أهم المشاريع الإصلاحية في البلاد الإسلامية و الوطن العربي لذلك ما هو الإصلاح وأهدافه؟ وماهي مظاهره في العالم الاسلامي و العربي؟

المبحث الأول: تعريف الإصلاح وأهدافه

المطلب الأول: تعريف الإصلاح لغة واصطلاحا

أولا: تعريف الإصلاحRéforme لغة

جاء في لسان العرب: الصلاح ضد الفساد. صَلَحَ صَلحاً، ورجل صالح في نفسه من قوم صُلَحاء، وقد أصلحه الله. وقد تكون كناية صالح عن الشيء الذي هو الى الكثرة، فمطر وفير هو مطر صالح. و الإصلاح نقيض الفساد. وأصلح الشيء بعد فساده بمعنى أقامه، وأصلح الدابة أي أحسن اليها فَصَلَحَتْ. وفي التهذيب تقول اصْلَحْتُ الى فلان أي أحسنت اليه.[1] اذا الإصلاح من الفعل المضارع أصلح أي في عمله و أمره أي أتى بما هو صالح نافع ،وأزال الفساد.[2]

ثانيا: مفهوم الإصلاح اصطلاحا

الإصلاح هو فكرة تنشأ من تصور الى واقع ما، وسط ظروف زمانية و مكانية خاصة تولد في الانسان الرغبة في التغيير ثم لا تلبث هذه الرغبة أن تتحول إلى إرادة قادرة على إيجاد الآليات الكفيلة بإنجاز التغيير[3] و لعل مصطلح الإصلاح مرتبط بالموضوع المراد إصلاحه، ولذلك يُقول: الإصلاح السياسي أو الديني أو الاقتصادي أو الاجتماعي...

ومن صفات المصلح أنه يلتزم بصفات الإصلاح بعيدا عن أي هوى ومصلحة أو منفعة وراء ذلك اذا فهو يحاكي الأنبياء و المرسلين عليهم الصلات و السلام. اذا هو تغيير جذري لكامل مجريات الحياة، وفق تمخض عويص يفضي الى ولادة جديدة يمس الفرد و المجتمع وكل الأمة[4].

---

[1]ابن منضور، لسان العرب، م2، دار الصادر للنشر و التوزيع-بيروت، ص ص 516-517.

[2]المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج1، ص 520

[3]عمار بن مروان، عبد الحميد بن باديس و منهجه في الدعوى الإصلاحية، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع-تيزي وزو،2010، ص68

[4]علوان السعيد، فلسفة ابن باديس في الإصلاح و المفهوم، مجلة المعيار، العدد 42جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2007، ص 2

وبهذا المفهوم للإصلاح يكون أقرب ما يكون من مفهوم النهضة[1] بمفهومها الخاص هي حركة احياء التراث القديم واحيائه من جديد وبعث الروح فيه من جديد خاصة في المجال الديني و الاجتماعي، إلا أن الإصلاح يزيد عليها بتقويم ما فسد و يسعى الى التجديد المستمر وبعث نماذج جديدة لشتى مجالات الحياة.

وقد ذكر الإصلاح في القرآن الكريم بدعوى نشر فكرة الإصلاح و تغيير الفساد، و من بين الآيات في هذا السياق الآية التي اتخذها المصلحون شعارا لحركاتهم، قال تعالى:**"**

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"[2]-صدق الله العظيم-، و المقصود من الآية الكريمة هو إرادة الإصلاح العام فيما أمر به الله سبحانه و تعالى، وفيما نهى عنه مادامت أستطيعه للأنه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر. وما نستخلصه أن الإصلاح هو قرار وتنفيذ لفكرة ووعي تام لشتى مجالات الحياة، و الإصلاح كذلك نقد للحياة وما تحتويه من أوضاع وتصورات، ولا يتم الا اذا طبق وتمت ممارسته.[3]4

[1]مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر و التوزيع- الأردن، عمان، ط2، 2009، ص313.
[2]سورة هود الآية 88
[3]محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المنار-القاهرة، ط1954،4، ص145.

المطلب الثاني: أهداف الإصلاح

أولا: الأهداف العامة

اجتمعت كل الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي والوطن العربي على منطق وقاعدة التواصل مع التراث وفق مرجيته[1] الإسلام و العروبة.

كما كان على نمطه دون زيادة هذا حسب تصور لبعض المصلحين أمثلا "محمد بن عبد الوهاب" و الحركة الوهابية أو الاجتهاد في بلورة التراث الموافق للحداثة و المعاصرة. أما الحديث عن التراث كان لابد من حصره في أمرين كاستراتيجية هادفة نحو التغيير في اطار السؤالين التاليين: كيف نفهم التراث؟ وهو سؤال معرفي. وكيف نتعامل معه؟ وهو سؤال منهجي ولذلك كانت الرؤى متباينة حول الهدف الأول ألا وهو معرفة التراث و المادة التي ينطلق منها المصلح وكذلك تباينت المناهج في دفع هذا التراث و النهوض به.

وكان الهدف هو المحافظة على التوازن بين التراث و الحداثة ومعنى ذلك ليس بقصد الاستغراق فيه و التقوقع و الانزواء و الانقطاع على العالم المعاصر و اليومي انما الاستلهام منه و القدرة على تجاوزه بحكم أنه تراث اكتسبناه من السابقين و علينا أن نكتسبه وفق العصر الراهن و الأيام المتتابعة مصداقا لقوله تعالى:**" تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم و لا تسألون عما كانوا يعملون"**[2].

المقصود بالتجاوز هنا ليس التصور القائل بالتخلي مطلقا على التراث انما إضافة صبغة أو حلية جديدة عليه وذلك بالتطوير وتقديم ما هو أفضل وأرقى؛ وعليه التجاوز هو مرادف لما اصطلاحه المفكرون الغربيون من مفاهيم كالنهضة و التجديد و الحداثة و المعاصرة.

اذا تتبلور أهداف الإصلاح في العصر الحديث في مجالات متعددة و الغاية منها بناء حركة الجماعة الإسلامية تعيد للأمة الإسلامية و العربية خاصة شموخها وفق الإسلام النقي، كما في صدر الإسلام مع مواكبة العصر المعاصر من تطو، وقدمت في ذلك

[1] زكي الميلاد، من التراث الى الاجتهاد، المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء المغرب، ط1، 2004، ص7
[2] البقرة الآية 134

مشاريع هادفة لإصلاح أهم الأركان الاجتماعية من تكوينات فكرية و تربوية، هذه التركيبات هدفها واحد و هو الإصلاح الديني و مقاومة ومقابلة الاستبداد و مواجهة المستجدات من أيديولوجيات غازية خاصة العلمانية، التي كانت قد بدّأت تنخر بالأمة.[1]

ثانيا: الأهداف الخاصة

تتشكل الغاية الرئيسية لدى مفكري الأمة الإسلامية و العربية من النهضة هو الإصلاح في شتى المجالات حيث تحددت ألوان الإصلاح فكان كل لون موافق للزمان و المكان و الشخصية و الأيديولوجية المترسخة فيها ولذلك فالهدف العام احياء التراث مع الحداثة و مواكبة العصر، أما السبل الى ذلك فبأهداف خاصة كل اصلاح ينفرد عن الآخر وهي كالتالي:

الإصلاح الديني:

يعتبر الاهتمام بالإصلاح الديني تحصيل حاصل للمصلحين الأوائل، فهو منطلق الأمة و عمادها، وكانت أقوى الحركات الفكرية وأكثرها أصالة هي الحركة الدينية، التي سعت إلى نهضة عن الجمود و التقوقع وفق نمط التقليد الأعمى لدى الأجيال المتتالية، وكان السبب في هذا هو تعليق باب الاجتهاد، ما دفع بظهور أساليب صوفية و اعتمادها المبالغة و التطرف. هذا ما دفع بعلماء الدين إلى العودة السريعة نحو التبشير بالعقيدة و تطهير النفوس مما تعيشه من جهالات وأباطيل و العودة الى الدين النقي الذي عاشه المسلمون في فجر الإسلام، و الهدف من كل هذا هو إيقاظ الشعور الديني لدى المسلمين وأنه يجب أن يقوموا من سباتهم لإصلاح أنفسهم وتكميل نقائصهم.[2]

الإصلاح السياسي:

كان الهدف من الإصلاح هو النهوض كذلك بالجانب السياسي وعمل جلهم ونضّروا إلى مشاريع و تصورات تختصر في غاية واحدة هي إقامة العدل وفق الحقوق الطبيعية المتمثلة خاصة في حق الحرية و المساواة و دفع الاستبداد و المظالم. ومن أسباب هذه

[1] زكي الميلاد، من التراث الى الاجتهاد، مرجع سابق، ص6

[2] علي المحافظة، الاجتهادات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، الأهلية للنشر و التوزيع-بيروت، دط، 1987، ص37.

الأمور كلها هو الابتعاد عن الشورى، وعدم انتظام الشعب في جمعيات أو أحزاب تناضل في حقول السياسة و الاقتصاد و حقوق المواطنين و الانسان. اذا طالب المصلحون على إقامة الدولة وفق الحقوق الطبيعية و وفق قوانين سياسية تفضي برعاياها إلى السعادة، مع مراعات القوة الوطنية و هيبة الأمة أمام الأمم الأخرى.[1]

الإصلاح الاجتماعي:

إن الغاية من النهضة في العالم الإسلامي و العربي هو الإصلاح الاجتماعي فقد تنوعت قضايا الإصلاح في هذا المجال في تلك الفترة كانت الغاية الدعوى إلى العدالة الاجتماعية من خلال نبذ الطبقية، وذلك عن طريق انتهاج نسق اقتصادي ذو طابع اجتماعي لا نسق اقتصادي ذو طابع سياسي، ومن الماكد أن يعود على الفائدة العامة للمجتمع وآن للدولة الحديثة و المجتمع الحديث أن تتخلى على النظام الاقطاعي و استغلال الانسان لأخيه الانسان و توزيع الثروة على المجتمع بالعدل.[2]

أما عن قضايا الأسرة فصب جل اهتمامهم بقضايا المرأة كان اهتمام المفكر العربي الحديث بين أمرين حولها بين المحافظين و المجددين، حول حق المرأة في التعليم والعمل والمشاركة في الحياة العامة،ومزاحمة الرجال في ميادين الثقافة و العلم و مساواتها بالرجل في الحقوق و الواجبات، وأن سبب تراجع الأمة الإسلامية هو تدهور القوة الاجتماعية أي زوال الفضائل الاجتماعية ؛القيم الأخلاقية وهذا كله من دور المرأة الذي غيب و دورها في المجتمع إصلاح أخلاق الأمة عن طريق التربية و عن طريق تعلمها وثقافتها.

[1]معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب-الكويت، د ط، د س، ص223
[2]عزمي زكريا، أبو العز، الفكر العربي الحديث والمعاصر، دار المسير-عمان، ط1، 2012، ص126.

المبحث الثاني: أهم الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي

المطلب الأول: الحركة الوهابية

ظهرت هذه الدعوة إلى الإصلاح في الجزيرة العربية؛ الحجاز وبلاد الحرمين الشريفين نظًر لقيامها الامام **"محمد بن عبد الوهاب"***[1]، الذي تصور منهجا معينا لهذه الدعوة، يصفه الباحث التونسي "حمادي الرديسي" في كتابه "حلف نجد" كتنقيب أركيولوجي في أصول العقيدة الوهابية، والذي يجمع هذه البنية الابستيمولوجية للمذهب الوهابي هو عقيدة "التوحيد" حيث هي عماد الدين الإسلامي و التي تختصر في **"لا إله إلا الله ومحمد رسول الله"**[2].ففساد الأمة حسب "محمد بن عبد الوهاب" راجع لفساد و خلل في عقيدة التوحيد ، عن طريق اشراك غير الله في العبادة، ولهذا وجب تطهير النفوس من الضلالات و الجهالات وعبادة عباد الله ممن يسمونهم بأولياء الله الصالحين. وأفضى هذا الأمر بالناس من عبادة غير الله الى عبادة كذلك أولوا الجاه و السلطان ، فإدا دل الانسان إلى ذات غير ذات الله التي توصف بالضعف أمام قدرته سبحانه، فتحصيل حاصل أن يذلوا لمن هو قوي في الدنيا لا يضاهي قوة الله. ولذلك لدحر هذا كله ليس للإنسان سوى منفذ واحد ألا و هو الثبات على وحدانية الله في العبادة.

لهذا يقيم "بن عبد الوهاب"، الإصلاح في كل المجالات على الإصلاح الديني و العودة إلى أصول الدين القرآن و السنة النبوية فقط دفعا للشرك محافظة على الايمان الحق. جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: **"من لقي الله لا يشرك به شيء دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيء دخل النار"**[3]؛تفرع عن هذا الحديث مسائل عدة أول الخوف من الشرك ، وأن الرياء في العبادة من الشرك الأصغر وأخوف ما يخاف على الصالحين منه، و هذا لا حديث شارح و مفسر ل**" لا إله إلا الله"**، وأن يسلم من شرك فإن مثواه لا محلة الجنة.

---

[1]محمد بن عبد الوهاب بن سلمان التميمي،(1110-1206ه)،(1703-1791)، نشأ في بلدة تسمى "العيينة" في نجد، وتعلم دروسه الأولى بها على رجال الدين من الحنابلة، وسافر الى المدينة ليتم تعليمه، ثم طوف في الكثير من بلاد العالم الإسلامي فأقام نحو أربع سنين في البصرة، وخمس سنوات في بغداد، وسنة في كردستان، وسنتين في همذان، ثم رحل الى أصفهان ودرس هناك فلسفة الاشراف و التصوف، ثم رحل الى قم، ثم عاد الى بلده واعتكف عن الناس نحو ثمانية أشهر، ثم ليخرج عليهم بدعوته الجديدة. جل أعماله تركز على التوحيد، ولعل أبرزها: كتاب التوحيد- أصول الايمان. أنضر: أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة- مصر، د ط، 2012، ص7.

[2]Https/WWW.mominoun.com/articles 50106-في نشأة المذهب الوهابي، بحث في أصول العقيدة الوهابية

[3]البخاري4497 وابن خزيمة، كتاب التوحيد، ت أبو مالك الرياشي، مكتبة عباد الرحمان- مضر، ط1، 2008، ص21

صفاء عقيدة التوحيد لكي تكتمل لابد لها من أساس فحواه: **"أن الله وحده هو مشرع العقائد"**3[1]؛ أن الحلال و الحرام مشرعين بيد الله وكل ما أمر به الانسان و ما نهي عنه سواء في القرآن أو السنة فهو من تشريع الله. اذا فلا كلام لعلماء الكلام والفقهاء و اجتهادهم الا على نحو ما جاء في القرآن و السنة أما الاجتهادات الأخرى و التصورات المتعددة لبيان واضح في القرآن فلا يجوز ذلك، ووجب اغلاق بوابة الاجتهاد، فهو سبب الشرور فلا يتم الاجتهاد الا حسب فهم نصوص الكتاب وما صح من السنة.

تمخضت هذه الأيديولوجية وأثمرت عند تحالفها مع نظام سياسي قاده الأمير **"محمد بن سعود"***[2] فعرفت الميلاد الفعلي حتى طالت كل الحجاز وعده الكثير من المفكرين النواة الأولى للإصلاح في العالم الإسلامي وخاصة في مجال الدين ومن الذين أكدوا على هذا **"محمد عبده"** قائلا:" **في تاريخ المسلمين الحديث كنت دعوة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب"، تنطلق من قلب الجزيرة العربية لتلبي هذا المطلب و هو الرجوع الى صفاء الإسلام و الأخذ به على أوله و أصله... إن دعوة الشيخ تعتبر نقطة مضيئة في تاريخ العالم الإسلامي *خلال فترة الركود و الجمود"**[3].

تبدو الوهابية اذا استعادة للإسلام الأول، و للصفاء الطهروي الذي يحكم الإسلام زمن النبوة وزمن الصحابة، وكأنما بلغت نهاية التاريخ فلا وجود للإسلام في كل الصور الماضية و لا معنى للتراكمية التاريخية في الإسلام على هذا النحو الوهابي فمحمد بن عبد الوهاب صورة عن الرسول صلى الله عليه و سلم، وأتباع هذا المذهب شبيهون بصحابة رسول الله. ومما يعاب عليهم في هذا رفضهم للتشريع، وتشريعهم بتكفير ما سموه بعمة المسلمين.[4]

---

[1]أحمد أمين، المرجع السابق،ص98

[2]تعدى تأثير هذه الدعوة في جملة من أقطار العالم الإسلامي، ففي المغرب الأقصى تأثر بها "السلطان محمد بن عبد الله " سلطان مراكش (1757-1790).كما تأثر بها الداعية المجاهد أحمد بن عرفان (1786-1831)الشهيد الذي قاد حركة كبيرة لتأسيس دولة في شمال غربي الهند، وحضر الامام السنوسي مكة حاجا وسمع الدعوة الوهابية واعتنقها و عاد الى الجزائر مبشرا بها، وفي اليمن قام الامام "محمد بن علي الشوكاني"، (1760-1834) قام بتبني هذه الدعوة، وفي العراق ظهر مفسر و محدث و أديب سلفي الاعتقاد وهو "شهاب الدين محمد بن عبد الله (1802-1854)، وفي الشام كان للشيخ "جمال الدين القاسمي" (1822-1914) دور كبير في نشلر هذا المذهب. أنظر كتاب محمد عبده، دروب النهضة، المرجع السابق، ص ص9-10.

[3]محمد عبده، دروب النهضة أحاديث في الثقافة و شؤون الأمة، دار المعلم- الأردن، عمان، ط1، 2003، ص ص7-8

[4]أحمد الكاتب، الفكر السياسي الوهابي قرأه تحليلية، مكتبة مدبولي القاهرة، دط، د س، ص20.

اعتقادا منهم ان زيارة قبور الأنبياء و الأولياء الصالحين منتشرة في جميع البلاد الإسلامية فقد اعتبر الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" عامة المسلمين كفارا و مشركين و مرتدين كأهل الجاهلية الأولى أو أضل منها؛ لذلك عند انتشار الدعوة نفذت تعاليمها بالقوة، ولم تنتظر حتى يؤمن الناس بدعوتها فلما دخلوا مكة هدموا الكثير من القباب الأثرية كقبة السيدة خديجة وقبة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد أبي بكر و علي. ولعل مثل هذه الأفعال أثارت بالطبع غضب عامة المسلمين لأن هذا المذهب انتشر بحرب السيف و حرب الكلام.

المطلب الثاني: الحركة الإصلاحية عند الأفغاني

بالإضافة الى الحركة الوهابية في الحجاز كمنطلق أول للإصلاح في الامة الإسلامية عرفت حركة اصلاح جديدة في العصر الحديث بقيادة زعيم الإصلاح بلا منازع آن ذاك السيد **"جمال الدين الأفغاني"**[1]، الذي اختار القرآن منهجا مسايرا لكل زمان ومكان كما سعى لمشروع يجمع فيه شتات المسلمين دون أي قومية وخاصة العربية.

قواعد المنهج الإصلاحي عند الأفغاني:

ضبط الأفغاني نسقا وأقر بقواعد لبناء مشروعه الإصلاحي في شتى المجالات وأغلبها تقويضيه بداية بالرجعية و النكوص الذي يفضي الى الفتوة (الإسلام)، والدعوة إلى احياء الاجتهاد ،و الدعوة إلى الحرية وتتبلور هذه القاعدة لتثمر قاعدة رابعة وهي الجامعة الإسلامية بدل الجامعة العربية.[2]

ا-العودة إلى القرآن الكريم:

دعا الأفغاني إلى إسلامية المشروع النهضوي لمواجهة الاستيلاب الحضاري و التغريب لأن الإسلام هو المذهب الصالح لكل زمان و مكان هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن الإسلام دعا إلى تحرير العقل و الاجتهاد مستطاع الانسان و دعا الإسلام للجهاد و الحرية وأن الإسلام ليس دين الأفراد بل دين الجماعة و الوحدة لا القومية يقو الأفغاني:" **إن الدين هو قوام الأمم، وبه فلاحها وفيه سر سعادتها، (..) وهو السبب المفرد لسعادة**

[1]جمال الدين الأفغاني: محمد بن صفدر الحسيني جمال الدين الملقب بالأفغاني، ولد في قرية أسعد أباد بالقرب من العاصمة كابول بأفغانستان سنة(1254ه-1839م) وأن نسبه ينتهي إلى الامام علي بن أبي طالب لقي تعليمه الأول في العاصمة وحصد فيها العلوم الشرعية و الدنيوية كما جمع بالإضافة الى ذلك عدة لغات(العربية الفارسية التركية كما كانت له دراية بالفرنسية، الإنجليزية، و الروسية) و هذه من الأسباب التي مكنته من دعوته الى النهوض بالعالم الإسلامي وارتحل الى الهند وتعلم فيها الرياضيات الحديثة وفق الطريقة الأوربية ، ليعود الى أفغانستان وتولى منصبا مرموقا وبعد سقوط هذا النظام ارتحل الى عاصمة الخلافة إسطنبول وكان له شأن عظيم في حضرة "علي باشا"، وكثرة المعارضين له دفعته الى الرحيل مرة أخرى نحو مصر وهنا بدأ دعوته فيها مع طلاب الأزهر، وأثار جملة من القضايا (الحرية، الفكرية، التربية، الأسرة، السياسة...)، لينزل بها ثمانية سنوات، وينفى بعد ذلك الى الهند وبعدها الى لندن ففرنسا ، ليعود مرة أخرى الى الأستانة بإسطنبول متما فيها ما تبقى من حياته التي توقفت في سنة (1315ه1897م) مخلفا آثارا جمة نذكر منها: رسالة الرد على الدهريين-مجموعة المقالات التي نشرها رفقة تلميذه محمد عبده في مجلة العروة الوثقى . أنظر في هذا الصدد عبد الحميد درويش النساج ، الفكر العربي الحديث، عالم الكتاب، ط1، 2014، صص59-60.

[2]عبد الحميد درويش النساج ،نفس المرجع،ص60

الانسان (...) إنه سلك النظام الاجتماعي، ولن يُستحكم أساس للتمدن بدون الدين البتة".[1]

إن الدين الإسلامي جامع مانع يخص الفرد و الجماعة الذكر و الأنثى الكبير و الصغير فيه شفاء للأنفس نقاء للأبدان دافع للعقل لا يعرف لا يعرف أي ثنائية، مقوم للحضارات ، ولا يزيغ أحد اذا ما تمسك بالدين الإسلامي وأصوله ويضع الافغاني هذا كله في قوله:" إنه دين قويم الأصول، ومحكم القواعد، شامل لأنواع الحكم، باعث على الألفة، داع إلى المحبة مزك للنفس، مطهر للقلوب من أدرا الخسائس، منور للعقل بإشراق الحق من مطالع قضاياه، كافل لكل ما يحتاج إليه الانسان في مباني الاجتماعات البشرية، وحافظ وجودها ويأدي بمعتقد إلى جميع فروع المدنية".[2]

ب-الدعوة إلى احياء الاجتهاد:

دعا الأفغاني إلى تجديد الفكر، وتصحيح الفهم، ونبذ التقليد بحيث أراد أن يقوض الفكر الذي يدعوا اليه دعاة تغريب الوطن الإسلامي وجعلها صورة طبق الأصل للغرب وهذا الأمر من المؤكد أنه سيدعو نحو الخضوع وتهيئة الطريق أمام الآخر ودفع الأمة نحو فقدان السيطرة على ذاتها." **ولقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة، المنتحلين أدوار غيرهم يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء اليها، وطلائع الجيوش الغالبين وأرباب الغارات"**[3]، بالإضافة الى رفضه التقليد سعى الى رفض التعصب الدغمائية، التي تقود إلى انسان متقوقع في ذاته لا دراية له بصنائع الآخر و العالم و صيرورته و تناقضاته ولن يتم ذلك الا من خلال احياء السنن، واماتة البدع و الخرافات، و الانحرافات هذا التقويض للميتافيزيقا الشائعة لدى معظم مناطق الأمة لابد له من بناء قائم على تشجيع العلم و الابداع و الابتكار و الأخذ بالأحسن في كل شيء من العلم و العمل بعيدا عن الافراط و التفريط و غلو المتطرفين و تقصير المضيعين والى تجديد في الأمة قائم على الوعي و الفهم عن طريق العقل و الفقه و الاستنباط من الشرع الذي لا ينكر دور العقل.

[1] جمال الدين الأفغاني ،محمد عبده، العروة الوثقى ،مكتبة الشروق الدولية-القاهرة، ط1،2002، ص ص37-38.
[2] جمال الدين الافغاني، المرجع السابق،ص38.
[3] نفسه

وليس هناك ثنائية العقل و الدين بل يوجد ثنائية العقل و الجنون، انما كلاهما متكاملان ولذلك وجب التخلي عل تقليد الغرب عندما نفوا الدين والتزموا فقط بالعقل. وبهذا يكشف عن الوجه السيء لفكرة التنوير اللاديني للغرب رافضا كل مقلد لهذا المنطق؟، دافعا للتجديد الذي لا يحصل الا عن طريق التواصل المباشر بن العقل و النقل.

ورافضا لكل متعصب للدين وأصوله دون الاستعانة بالفكر، كذلك هذا الأمر يقضي على روح التجديد و يؤدي الى الرجعية الراكدة، لأن الدين موافق للزمكان و الظروف، وما أنكر القرآن الكريم و لا السنة النبوية الشريفة العمل بالعقل فلما اذا نرفض سبب الايمان الحق؟ يقول محمد عبده موضحا كل ما سبق:**" وفي مواجهة العقلانية اللادينية، التي دعا اليها التنوير الوضعي الغربي، ذلك الذي انطلق فلاسفته من دعوى الثنائية المتناقضة بين العقل و النقل(...) دعا الأفغاني الى احياء العقلانية الإسلامية المؤمنة، لأن الإسلام و حضارته لم يعرفا هذه الثنائية المتناقضة"**[1]

ج-الجامعة الإسلامية بدل الجامعة العرقية:

قبل الحديث عن الجامعة الإسلامية فقد عدد الافغاني أسباب وقوع الأمة في التقسيم و الاستعمار وجمعها في التقليد الأعمى للحضارة الغربية الذي هيء لها الأرضية المناسبة للتغلغل و القمع، ومن ثم الوقوع في الاستعمار، اذا دعا الأفغاني إلى الحرية وهذا بهدف تخليص الذات الإنسانية من شوائب الماضي و المعتقدات الخرافية ومن التقليد، بهدف تحرير الأمة من الانقسامات الذي خلفها الاستدمار؛ ففلسفته "في الحرية التي كان يقصدها جمال عادة حين يستخدم من الكلمة لم تكن الحرية الشخصية، بل الحرية القومية أي الاستقلال الوطني"[2]

اذا كانت الغاية من تلك الأسباب الأولى هو دفع الآخر من الأوطان فالغاية الاسمى التي سعى اليها الافغاني جمع الامة الإسلامية داخل رقعة واحدة دون اتخاذ أي عرق يفصل بين أبنائها ودون اتخاذ أي قومية تقسم أمصار الأمة الإسلامية وأطلق على هذا المشروع

[1] الأفغان، محمد عبده المرجع السابق، ص41

[2] صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة في العصر الحديث، مركز الحضارة العربية-القاهرة، ط1،2003، ص39.

الجامعة الإسلامية:" تعني أن للإنسان المسلم انتماء إسلاميا يحدد هويته و هوية الكيان السياسي و الحضاري الذي يمنحه الولاء(...) وهذا الانتماء له مردوده يتجسد في خيارات، وهو يعني رفض الوقوف بفكرة الوطن (...) بل يتجاوز دائرة الوطن القومي العربي إلى عالم الإسلام الذي يضم الأقاليم و القوميات".[1]

ويعني من كل هذا وجود طابع حضاري لهذا الانتماء الإسلامي فعلاقات الأقاليم الإسلامية تتجاوز حسن الجوار و المعاملات الاقتصادية الى وجود "وحدة في حضارة الإسلام" تضمن لها مكانها بين الحضارات الأخرى.

بالإضافة أن هذه الجامعة الإسلامية ليست علمانية بالتصور الأوربي فالإسلام دين و دنيا، ولم يُدر ظهره لشؤون الحياة، لكنه وضع أطرا معينة ثم ترك للأمة عن طريق العقل و التجربة حرية الابداع في شؤون دنياها في حدود هذا الاطار.

هذه الحضارة الإسلامية جديدة وجب أن لا تكون نسخة طبق الأصل للحضارة الغربية، عليها ان تتمدن بتميز لأن الحضارة الغربية قد شاخت وتغلغل المرض فيها من أدران متعددة، ولذلك وجب الاختلاف عنها ليس في الأمر" **الكبرياء القومي للمشروع**"، وانما لكي يبدأ مشروعا حضاريا متميزا عن هذه الأمراض اللاأخلاقية التي تغلغلت في الحضارة الغربية.[2]

الخلاصة:

[1] محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني المفتري عليه، دار الشروق، ط1، 1984، ص161
[2] نفسه، ص ص 161-162

قصارى القول أن الإصلاح وهو فكرة تتبلور في قضايا متعددة ينظر لها المصلح و المجدد مدافع عنها مهما تعددت العوامل، التي تكون في أغلب الأحيان هي السبب التي تساهم في إيقاظ هذه الروح من ظروف مزرية عاشتها المجتمعات وذلك على الصعيد العالمي بصفة عامة وهذا ما شهدته النهضة الغربية ، كما أن هذا النسيم النهضوي امتد إلى العالم الإسلامي و الأمة العربية من خلال ما شهدوه من ظروف كانت تتمخض لولادة جديدة رغم الأرضية التي كانت تعج بالجهل و التناقضات وخنق الجانب الفكري إلا أن الآذان وكانت صاغية عن طريق ثلة من المصلحين انطلقا من الحجاز الذي نظر لإصلاحه "محمد بن عبد الوهاب" من خلال العودة الى الإسلام الأول الذي بني أساسا على عقيدة التوحيد ونبذ الشرك. وكذا ما عمل عليه "جمال الدين الأفغاني" الذي كان رحالة يحمل في جعبته هم الأمة واضعا الإسلام قاعدة أولى مجتهدا رافضا لكل تقليد غربي دافعا نحو الحرية الذاتية من قيود الآخر ونحو التحرر من الاستبداد ليصل الى جمهورية مثالية تجمع شتات المسلمين في جامعة إسلامية بدل القومية، وعلى الرغم لما تعرض له هؤلاء المصلحون لعوارض الا أنهم كانوا أول من وضعوا اللبنات الأولى للإصلاح في العالم الإسلامي و الوطن العربي، وكانوا بمثابة الجسم الذي انطلق من الفتوة التي تبلورت ونمذجت ذاتها فيما بعد لمشاريع احتضنها واستمر في تقويمها ممن تتلمذ وتأثر بهم.

الفصل الثاني

الأسس الإصلاحية لمشروع محمد عبده

الفصل الثاني: الأسس الإصلاحية لمشروع محمد عبده

تمهيد:

كانت المؤشرات الأولى للإصلاح قد بدأت في الحجاز وكان مولدها دافع أساسي لنضج هذا المشروع على من جاء بعدهم و لعل الأفغاني كان من حمل الشعلة لإنارة درب هذه الامة ليمنحها إلى أبرز تلامذته و إلى النابغة فيهم و إلى من صخر جهده و وقته و كل ما منح من قوة و فكر الى اصلاح حال الوطن المصري و حال الأمة العربة و الإسلامية حاملا مشروعا طموحا نظر له و عدل فيه وتبلور كغيره من المشاريع السالفة على شاكلة جديدة.

المبحث الأول: مصادر فكره ونشأته

المطلب الأول: مصادر فكره

تنقسم مصادر فكر العلامة محمد عبده الى شطرين محورهما جمال الدين الأفغاني أي ما قبل الأفغاني في تحصيل المعرفة و ما بعد الأفغاني.

إن أول مصدر أكسبه هذا النبوغ وسعة الاطلاع هو والده حيث طبع في ذاته القيم الأخلاقية المطلقة والتي مصدرها الكتاب و السنة بحيث لهذه الطبائع الدور الكبير في بعث روح الطموح وكذلك الصبر و الشجاعة و كلها فضائل تتبلور لتكون شخصية متزنة ناجحة لها هيبة خاصة تحضي بالاحترام. فمواهب المفكر محمد عبده تجلت من مواهب "هذين الوالدين الجسمية و النفسية في نجليهما، فكان له من هيبة و سمو أخلاقية قيمتها في تنقل المواهب و الصفات من الآباء إلى الأبناء"[1].

وأخذ من والديه أسلوبا مهما سيمكنه فيما بعد في بعث المنهج الوسطي الذي يفضي إلى احترام الاختلاف و التسامح مع الآخر رافضا كل مظاهر التعصب و التكفير، وفي هذا الصدد يذكر قائلا:" أما والدتي(...) كانت ترحم المسكين و تعطف عن الضعاف وتعد ذلك مجدا وطاعة لله وحمدا ولم أزل أجد أثرا ماوعية من ذلك في نفسي إلى اليوم".[2]ناهيك عن البيئة الريفية التي نشأ فيها، فهي مسالمة هادئة صنعت في الرجل بعدا تأمليا خلاقا وكذلك أسس أخلاقية متينة أي بالإضافة إلى تنمره ضد كل ضلال أو فساد أو ظلم.

*النواة الأولى لمصدر فكره و المعرفي هو القرآن الكريم الذي استطاع أن يختم حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ما بين السابعة و العاشرة أي في ثلاث سنواة.[3]

*أخذ عن الجامع الأحمدي بطنطا دروسا في الفقه وأخرى في النحو.

*كان للتجربة الذوقية النابعة عن التصوف الغير متطرف الذي ملؤه العمل لا التقاعس و الهمهمات دور كبير في تكوينه الفكري وبعث روح البحث و التجديدفي حياته العلمية و

[1]رضا محمد رشيد-تاريخ الأستاذ محمد عبده-ج1-مطبعة المنار-1323ه-ص13 -
[2]المرجع نفسه-المكان نفسه
[3]عبد الكريم بوصفصاف-الفكر العربي الحديث و المعاصر محمد عبد و ابن باديس-دار مداد-قسنطينة-ج1-ط1-2009-ص200

المشروع النهضوي آخذ عن أحد أقاربه وهو الشيخ درويش خضر الطريقة الشاذلية التي ارتبطت بالسنوسية المغاربية و التي تشربت من المذهب الوهابي حتى ارتوت وحالها جميعا تحتي الإسلام المعتدل، والغريب أن هذا الأثر كان في زمن وجيز ولكن امتداده كان عميق الوطأة" ولا شك أن الأيام التي قضاها محمد عبده مع الشيخ درويشكانت هي البيئة الملائمة التي كونت فيه كل ما اتجه اليه فيما بعد من اصلاح، فاهتمامه بعد ذلك بتفسير القرآن وجعله أساسا لدعوته الإصلاحية وتنقيته للعقيدة الإسلامية مما أصابها من دخيل كل ذلك صنفه مع النوع الصوفي الراقي، فهذه الصفات كلها غرست فيه خلال تلك الأيام القليلة التي قضاها مع الشيخ درويش ثم نمت وازدهرت وتكيفت وفق الظروف و الأحوال.

كان مصدرا ملهما للبناء الفكري لمحمد عبده حيث قام بانتزاعه من جهالة المادة و حب المال و حب الزهو و التماع بملذات الدنيا الى الطهر الروحي و النقاء الوجداني و حب المعرفة التي تبعث بلذة ما ما بعدها لذة إنها الكشف و العرفان و يقول محمد عبده عن نفسه:" ولم أجد اماما اماما يرشدني الى ما وجهت إليه نفسي الا ذلك الشيخ الذي أخرجني في بضعة أيام من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة(...) هذا هو الأثر الذي وجدته في نفسي من صحبة أحد أقاربي هو الشيخ درويش".[1]

*الأزهر الشريف:

قصد محمد عبده هذه المنارة العلمية التي جمعت أبرز مفكري ذلك العصر حيث نال منها تحصيل علوم أخرى و معارف متعددة أخرى بالإضافة الى مصادر الشريعة و التصوف حيث بلغ ضالته من خلال الشيخ حسن الطويل الذي كان متضلعا في العلوم الرياضية و الهندسية و الفلسفة و المنطق.[2]

*جمال الدين الأفغاني:

[1] رضا محمد رشيد-مصدر سابق-ص23

[2] عبد الكريم بو صفصاف- مرجع سابق- ص206-207.

اتصل محمد عبده بالأفغاني بعد حضوره مصر ما بين 1871-1879 ولزم مجلسه ودروسه وكان له الأثر البالغ في بلورة الشخصية المفكرة حيث اتسعت آفاقه وتفتحت له أبواب كانت قد أغلقت أمامه.حيث بعث فيه البعد الإصلاحي و الخروج عن الغبن الصوفي و البحث و التفتح أمام أبعاد الحياة، واقباله على دراسة العلوم المختلفة كالفلسفة و الرياضيات و الكلام و الأخلاق و السياسة، وغيرها مما لم يكنله مكان في منهاج الأزهر.[1]

أهم دافع للتكوين الفكري غرس في الأستاذ الامام من طرف الأفغاني هو المنهج الجديد في القاء دروسه بالإضافة الى الطرق المستحدثة في كتابة المقالات الأدبية و الاجتماعية و السياسية ومرنهم على القاء الخطابة. وأهم ما استفاد منه بالإضافة الى هذا كله هو فكرة الميل الى الحرية ويقضة الوعي القومي.[2]

اذ الأفغاني لعبا دورا فعال في التنشئة العلمية و المعرفية لمحمد عبده ويثني عليه قائلا:" وقد صاحبته من ابتداء شهر محرم سنة 1287ه وأخذت أتلقى عنده بعض العلوم الرياضية و الحكمية(الفلسفة) و الكلامية وأدعو الناس الى التلقي عنه كذلك"[3]

المطلب الثاني: بطاقة حياة محمد عبده و انتاجه الفكري

[1] رضا محمد رشيد-مصدر سابقص103-104
[2] عبد الكريم بو صفصاف- مرجع نفسه-ص209
[3] محمد عبده-مذكرات محمد عبده تقديم و تعليق طاهر الطناحي –مؤسسة دار الهلال-ص34 -

المطلب الثاني: مولده و نشأته

ولد الشيخ محمد عبده حسن خير الله في قرية محلة نصر بمركز شبرخيت من أعمال مديرية محافظة البحيلرة في سنة 1266ه-1849م، في ؟أسرة تعتز بكثرة رجالها ومقوماتها لظلم الحكام، علمته هذه النشأة الاعتزاز بالمجد و الأصالة. تلقى تعليمه الأول للقرأة و الكتابة و حفظ القرأن الكريم بالقرية و هو ابن السابعة ثم ذهب الى الجامع الأحمدي بطنطا ليحضر دروس التجويد 1279ه-1862م .

بدأ في سنة1281ه-1864م يتلقى أول دروسه الأزهرية في الجامع الأحمدي بعد استكمال تجويد القرآن الكريم أخذ يتلقى العلم وفق نظام الأحمدي الذي يفرض على طلابه المبتدئين أن يتتلمذوا على مشايخهم كتابا في الفقه وآخر في النحو فاستطاع محمد عبده تعلم الفقه دون عناء لأنه تعود ممارسة بعض الفرائض والسنن أما تعلم النحو فكان معظلة بالنسبة له لغموض المصادر المتخذة في التعليم و للطريقة الغير أكاديمية التي يدرس بها المدرسون آن ذاك وضل سنة ونصف دون أن يتمكن من ذلك[1].هذا الأمردفعه الى قرار أفضى به إلى التوقف عن الدراسة بعد عام من شروعه فيها، وعاد إلى القرية سنة1282ه-1865م وتزوج وعزم على العمل في الزراعة مع أبيه واخوته والانقطاع عن سلك التعليم ولكن والده رفض و قرر أن يعيده الى الجامع الأحمدي في نفس العام. وكذلك فعل محمد عبده ولكن عند عودته التقى بالشيخ درويش خضر[2]وكان صوفيا حيث أعاد اليه الرغبة في طلب العلم وعاد الى الجامع الأحمدي سنة1282ه-1865م وبعد هذا زاد شغفه بالعلم فلم يجد ملجئ سوى القاهرة أي الأزهر الشريف الذي التحق به سنة1282ه-1866م وكان في الأزهر حزب شرعي محافظ و الآخر صوفي أقل حفاظ وحضر محمد عبده كل من الحزبين فسمع من الحزب الشرعي على (الرافعي-الجيزاوي- الطرابلسي...)، لكنه انتمى الى الحزب الصوفي من رواده (حسن رضوان وحسن الطويل...).[3]

[1]عبد الكريم بو صفصاف- مرجع سابق- ص ص 200-201
[2]هو أحد أخوال أبيه أنضر عبد الحميد درويش النساج-الفكر الحديث من زاوية فلسفية مرجع سابق-ص85
[3] محمد عمارة- المنهج الإصلاحي- المرجع السابق- ص ص14-15

نزل جمال الدين الأفغاني بمصر سنة 1288ه1871فاتصل به محمد عبده و لزم مجلسه وبذلك ودع حلقات الدروس الأزهرية ذات المنهج العقيم، حين عرف نقلة نوعية من التصوف و الزهد و التنسك الى الفلسفة الصوفية.

دخل امتحان العالمية في سنة 1294ه-1877مونال الدرجة الثانية ولولا إصرار رئيس لجنة الامتحان الشيخ محمد المهدي العباسي على نجاحه لرسب لأن الأعضاء كرهو آرائه و صحبته للأفغاني واصل بعد تخرجه تدريسه في الأزهر و في بيته لكتب المنطق وز الكلام المشوب بالفلسفة.[1]

في سنة 1295ه-1878م عين مدرس للتاريخ بمدرسة دار العلوم. اشترك مع الأفغاني في تنظيمات سرية ودخل الحزب الوطني الحر، شعاره مصر للمصريين أي لا أحد آخر.وفي سنة 1296ه-1889م نفي الأفغاني من مصر وعزل محمد عبده في قريته نظرا لتحركاته الاتي شهدتها الحكومة منهما. وفي سنة1297ه-1880م عفي عن محمد عبده وعين محررا في جريدة الوقائع المصرية وفي هذه الفترة بعد سكن لم يدم طويلا رمى الأستاذ الامام بكل ثقله في الاشتغال بالثورة العرابية بعد مظاهرة عابدين1881وظل في قيادة الثورة حتي هزيمتها 1882فزج به في السجن لثلاث أشهر ثم حكم عليه بالنفي ثلاث سنوات ثم امتدت ستة سنوات ذهب الى بيروت ثم دعاه الأفغاني إلى باريس في أواخر 1301ه1883معملا على التحرير في جريدة العروة الوثقى قامو بجمعية العروة الوثقى السرية في الشرق وكان منصبه منها نائب رئيس (الافغاني).[2]

التمس فيما بعد العفو و توسط له العديد حتي عاد الى مصر سنة 1888م وفي سنة 1889م صدر مرسوم من الخديوي عباس حلمي بتعيين محمد عبده مفتيا للديار المصرية، وفي هذه الفترة من حياته سافر الامام الى العديد من الدول العربية و الغربية و كانت من بين أشهر رحلاته سنة 1321ه-1903م إلى أوربا وبعدها زار تونس و الجزائر.[3]

[1] محمد عمارة- المنهج الإصلاحي- مرجع سابق- ص 16

[2] محمد عمارة- محمد عبده مجدد الدنيا و الدين- دار الشروق- ط2- 1988- ص ص 20-22

[3] أحمد شناوني- الخالدون من أعلام الفكر-تحقيق طه عبد الرؤوف سعد- دار الكتاب العربي القاهرة مصر- ط1-2007- ص 174

في الساعة الخامسة مساء يوم 11 جوليا سنة 1905م الموافق ل 7جمادى الأولى سنة 1323ه توفي الأستاذ الامام بالإسكندرية عن سبعة و خمسين عاما، وعن ثلاث بنات، وعن حياة فكرية خصبة وجهود في الإصلاح ومواقف لا يمكن أن تموت فلقد كان عقلا من أكبر عقول الإسلام و العروبة و الشرق في عصرنا الحديث و الموت انما يصيب الأجسام أما هذه العقول الفعالة انها لا تموت.[1]

2-انتاجه الفكري:

قدم محمد عبده للمكتبة العربية عدة مؤلفات بين روح العصر و أصالة الدين و من أهم هذه الكتب ما يلي:

*رسالة التوحيد:ويلتمس فيها المرجعية الدينية وشغفه و الاهتمام بالقرآن الكريم وبدراسته و تفسيره.

*رسالة الواردات في سر التجليات: وهي باكورة آثاره الفكرية التي حفظت لنا من تراثه ولم تنشر الا بعد وفاته.

*مقالات في جريدة الاهرام: وكان لا يزال يلتزم السجع في أسلوبه وسنه آن ذاك 27سنة.كتاب علم الاجتماع: ألفه لطلاب العلوم سنة .

*مقالات نشرها في جريدة الوقائع المصرية من بينها حاجة الانسان الى الزواج. حكم الشريعة في تعدد الزوجات. ما أكثر القول و ما أقل العمل. المعرفة في المجتمع احترام قوانين الحكومة من سعادة الامة(...).

*جريدة العروة الموثقة التي شارك السيد حمال الدين الأفغاني في انشائها في باريس وكان صاحب التحرير في كل المقالات التي نشرت على أعمدة18 عدد منها.[2]

*وضع التنظيم السري لجمعية العروة الوثقى كان نائب رئيس .

[1]محمد عمارة- المنهج الإصلاحي- المرجع السابق- ص34.
[2]عبد الكريم بو صفصاف- المرجع السابق- ج1 ص ص257-258.

*أسس الجمعية السرية للتقريب بين الأديان شارك فيها العديد من رجال الدين المستنيرين ممن ينتمون الى الأديان السماوية الثلاثة.

*كتب مقالات سياسية في بيروت نذكر منها: رسالة السيد صموييل بيكر في السودان و مصر و إنجلترا.مصر جريدة الجنة. مصر و المحاكم الأهلية. لائحة اصلاح التعليم العثانيو غيرها.

*ترجمة الرد على الدهريين للافغاني.

*اهم أعماله في الفترة الأخيرة من حياته:[1]

-أحاديث للصحف و المجلات.

-رسالة التوحيد(شرح من وراء الورقة).

-تحقيق و شرح البصائر الناصرية للطوسي.

-تحقيق و شرح دلائل الاعجاز.

-أسرار البلاغة للجرجاني.

-اللرد على هانوتو.

-مقالات الاضطهاد في النصرانية و الإسلام.

-الإسلام و النصرانية بين العلم و المدنية.

-تقرير اصلاح المحاكم الشرعية .

-الفصول التي شارك بها في كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين.

-المستبد اتلعادل.

-الرجل الكبير في الشرق.

[1]المرجع نفسه- ص ص 260-261

-وصيته التربوية التي أملاها بالفرنسية في مرضه الأخير على الكونت دي جريفر فنشرها في كتابه مصر الحديثة.

كل هذه الآثار و أخرى مكتوبة و مصنفة في كتابين هامين هما كتاب الأستاذ الامام محمد عبد في ثلاث أجزاء جمعه و صنفه و حققه تلميذه و صديقه الشيخ محمد رشيد رضا، وكتب الأعمال الكاملة للامام محمد عبده. وتم الجمع و تصنيف و تحقيق و تقييم الدكتور محمد عمارة في ستة أجزاء سنة 1972م.

المبحث الثاني: الإصلاح الديني و التربوي

المطلب الأول: الإصلاح الديني

الإصلاح صفة عامة في شتى المجالات عند محمد عبده مستمدة من القرآن البكريم ومادامت كذلك فإن من الأولى أن يكون للإصلاح الديني صفة خاصة في الاهتمام وتناول في هذا الباب مجموعة من المسائل نورد منها الثنائية بين العقل و الدين أو العقلانية الإسلامية و مسألة الاجتهاد وكيفية إقامة الوسطية في الإسلام.

1-العقلانية الإسلامية و الاجتهاد:

"يجب تحرير الفكر من قيد التقليدوفهم الدين على طريقة سلف هذه الأمة قبل ظهور الخلافة و الرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الأولى (...) و النظر الى العقل باعتباره قوة من أفضل القوى الإنسانية، بل هي أفضلها على الحقيقة "[1].

من هذا القول الفاصل يتضح أن الأستاذ الامام حدد أمرين مهمين أولهما تحرير الفكر من التقليد وأنه لا يوجد انفصال بين العقل و النقل، وكل اجتهاداته في الأزهر الشريف في أخريات حياته كانت ترمي الى الإصلاح الديني بحيث أراد ربط الصلات الممكنة بين العلم و الدين هذا لا ينفي أن الرجل اعتبر الدين حيث جعل منه المرتكز الأول و الأساسي للنشاط الإنساني في كل الحقول،" لذلك كان العقل محتاجا الى معين يستعين به في معرفة مالا يستقل بإدراكه (...) وهذا المعين هو الدين".[2]

وقد نوه لضرورة العقل للوصول الى الحقاءق التي حجبت على الانسان وفضل الله الأمر اليه من أجل أن يتدبرها بعقله وتمثلت في:

*اعلاء العقل في تفسير القرآن، فهو الكتاب الأساسي ورأيه في ذلك أن المفسرين حديثا و المعاصرين وجب أن يفسرواالقرآن وفق منهج الوسطية أي يقيمونه على الزمن الراهن

[1]محمد عبده- الأعمال الكاملة- ت.محمد عمارة- دار الشروق- دط- دت- ص181
[2]محمد عمارة- الإصلاح بالإسلام- دار النهضة مصر- ط1- 2006- ص73

لهم وأن لا يقلدوا السابقين في كل شيء بل يزيدون عليهم أو يستفيدون من تحليلهم العميق وكذلك من تفسيرهم للكلمات و الألفاظ اللغوية.

اعلاء العقل كقوة من قوى الانسان عند موازاته بالقوى الأخرى وفي هذا المقام يقف الأستاذ الامام قريب من موقف الفلاسفة الالاهيين، ومنهم الامعتزلة حيث يعتبر بأن كل ما يصل اليه العقل من نتائج هي سبل توصل الى ذات الله، أي أن طريق العقل هي طريق ادراك الله، فليس في الكون صفحات حضرت على الانسان أن يطلع عليها بل الطبيعة كتاب مفتوح للجميع و العلم فيها يوصلك الى الايمان القاطع بأن المدبر هو الله، لأن الحدود التي تحدد نطاق و امتداد النظر العقلي هي "الفطرة" لا "النصوص المأثورة"؛ "فالله قد أطلق للعقل البشري أن يجري في سبيله الذي سنته له الفطرة بدون تقييد" وما ذلك الا لأن "العقل قوة من أفضل القوى الانسانية، بل هي أفضلها على الحقيقة".[1]

ويرى بوجوب الاجتهاد و التمحيص الجيد وحتى تقويض بعض النصوص المأثورة عن السابقين حسب الأستاذ الامام ليس لأي نص حصانة تعلي من شأن ما يصل اليه من براهين و معطيات ذلك أن الرواة و رجالات السند لا نستطيع نحن بما لدينا من معلومات، أن نجعل من مروياتهم هذه حججا تعلو حجة العقل الذي هو أفضل القوى الإنسانية على الاطلاق و عن قيمة هذه الاسانيد يتحدث الأستاذ الامام الى أحد علماء الهند قائلا:" ما قيمة سند لا أعرف بنفسي رجاله، ولا أحاولهم؟(...) وإنما هي أسماء تتلقفها المشايخ بأوصاف نقلدهم فيه ولا سبيل لنا الى البحث فيها يقولون؟" [2]

ومن سبل الاجتهاد و التقصي أنه لا يكتفي بثقة الراوي الذي روى عنه بل يطلب أن تتوافر لنا نحن مقومات ثقتنا في هؤلاء الرواة وهو أمر مستحيل وهكذا لا سبيل أمامنا الا عرض هذه المأثورة على القرآن الكريم فما وافقه كان القرآن حجة على صدقه وما خالفه فلا سبيل لتصديق هوما خرج عن الحالتين فالمجال فيه لعقل الانسان مطلق و مفتوح .

2-تقويض التقليد:

[1] محمد عبده -الاعمال الكاملة-مصدر سابق-ص185
[2] محمد عبده-الأعمال الكاملة-ج3-ص215.

تحرير الفكر من التقليد كان واحدا من أمرين دعا اليهما الأستاذ الامام وبين خطورة التقليد على الايمان فيبين نوعين من الايمان أولا ايمان الاعتقاد وهو ايمان وراثي وقل ما ينشأ عن عمل أما الايمان الثاني هو ايمان الإذعان الذي ينبه النفس دائما ويبعثها للعمل، وهو الأحق للعمل بهحاول الأستاد الامام أن يواجه نوعين من التقليد انتشرا في المجتمع تيار التقليد والجمود القابع على عامة الناس، وكذلك التخلص من تيار التغريب و علمنة الشارع العربي و الأسرة الإسلامية التي ستكاد أن يقضى على معالم الإسلام و الهوية العربية فيها. ومن هذا كان لزاما أن يكون الحل في تيار "سلفي عقلاني".[1]

3-الوسطية الإسلامية:

أكد محمد عبده على وسطية دعوته الإصلاحية قائلا:" لقد ظهر الإسلام لا روحيا مجردا ولا جسديا جامدا، بل إنسانيا وسطيا ذلك آخذ من كلا القبيلين بنصيب، فتوفر له من ملائمة الفطرة مالم يتوفر لغيره، وذلك سمى نفسه دين الفطرة".[2]

اذا فالوسطية هي الشرط في نقاء المناهج إسلامية لأنها هي الجامعة بين عناصر الحق و العدل من الأقطاب المتناقضة التي تمثل غلو الافراط (العصبية الدينية) و التفريط(العلمانية الغربية)، وانضر الحضارة الإسلامية ما ارتقت يوما ما الى مصاف الحضارات الأخرى الا وأخذت الوسطية منهجا لها في كل القيم و المعاييرو الأصول و المعالم و الجزئيات، فهي بنبذها للغلو و التطرف الباطل تكرس الفطرة الإنسانية السليمة ببساطتها وبدهاتها وعمقها وأعرافها و تعبر بصدق عن فطرة الله التي فطر الناس عليها فهي سبغة الله في ملكوته حيث جاء في قوله تعالى:" **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا.**"[3]

4-موقفه من التصوف:

[1]عبد الرحمان محمد بدوي-الامام محمد عبده و القضايا الإسلامية-مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتب- ص ص7-8
[2]محمد عمارة الإصلاح بالإسلام- مرجع سابق-ص37
[3]سورة البقرة-الآية143

لقد كان للأستاذ الامام موقفا عقليا رافضا للتصوف، لكننا نجده في نفس الوقت قد دافع عن التصوف دفاعا مستميتا، فكيف لنا أن نفسر هذه الازدواجية في موقف الأستاذ الامام؟[1]

اننا اذا بحثنا في آثار محمد عبده لسوف نجد نفحات صوفية أثرت في مجريات حياته الفكرية تأثيرا حقيقيا و نجده قد عرف التصوف بأنه الدين، وأنه بالتصوف يستطيع أن يقهقر كل فساد ،فقال ان يئست من اصلاح الأزهر فئنني أنتقي عشرة من طلبة العلم وأربيهم تربية صوفية، هكذا كان للتصوف عنده مكانة سامية وشأنا عظيما، إلا أننا نجده قد هاجم الطرق الصوفية واعتبرها بمثابة بلاء ابتلي به المسلمين.

معنى هذا أن رفض هذا النوع من التصوف الذي يبعد عن نقاء الدين و طهارته، فأصحاب الطرق قد شوهوا التصوف وصارت رسومهم أشبه بالمعاصي و الاهواء.

هكذا رفض الأستاذ الامام أي نوع من أنواع الفكر أو السلوك الذي يخل بالدين ويبعده عن نقائه، ولهذا رفض الصوفية، وأشاد بالتصوف كرياضة نفسية وأخلاقية.

واذا شأنا أن نصنف موقف محمد عبده فهو صاحب سلفية عقلية تميز بها عن مواقف السلفيين الذين اكتفو بالموقف السلفي أي الاقتداء بالنصوص دون تمحيص، وعن "العقلانيين" الذين انطلقوا من منطق العقل فقط لا غير دون النصوص المأثورة وهذا ما لم يصنعه الأستاذ الامام حين ميز بين ما هو متواتر لا يرقى اليه الشك (القرآن) وبين ما جاءنا من رواة لا نستطيع التأكد من صدقها الا بالعقل.

[1] عبد الرحمان محمد بدوي- -مرجع سابق ص ص13-14.

المطلب الثاني: الإصلاح التربوي

سعى الأستاذ الامام إلى الإصلاح التربوي و التعليم واعتبره من أهم المسائل التي يجب أن تتحقق من أجل النهوض بالأمة و تحقيق رفاهيتها و ازدهارها، وكان الهدف المنوط هو خروج العالم الإسلامي من التقوقع و الجمود والتقليد، الى التجديد سعيا وراء اصلاح مناهج التدريس و البرامج المعرفية، كلها مشاريع سارع الرجل في بنائها و توطيد دعائمها.

1-فضل التربية و التعليم:

اعتبر محمد عبده أن الانسان لن يحقق انسانيته الفعلية الا بالتربية وتمثل السعادة الحقة، فإذا تربى المرء أحب نفسه لأجل أن يحب غيره، وأحب غيره ليحب نفسه، حتي الاحتلال الإنجليزي لم يرى الأستاذ الامام سبيلا لإخراجه الا عن طريق التربية، وانارة العقول و إيضاح خارطة الطريق ضد المستدمر، وأن البلاد و الأمة لا ينقصها شيء سوى التربية يقول:" نحن في بلد رزقها الله سعة العيش(...) ولكن يا للأسف منيت، مع ذلك بأشد ضروب الفقر، فقر العقول و التربية."[1]

وعنده أن الانسان بفقدان التربية ينجر عن ذلك فقدان كل شيء فلن يقدر على التحلي "بالعدل" أو "الغنى" أو "الكمال" الا اذا كان مصقولا بالتربية والتعليم، لأن عدل الجاهل ظلم حتى و ان صدر عنه بالصدفة فإنه لا محالة سيتخبط في الظلم، وإن غنى الجاهل فقر حتي وان ارتفع به المقام وهو على جهالة لابد له أن يختل و يفقر. وكمال الجاهل نقص فهو شبيه بطلاء حائط خرب لا يطول به المقام حتى يكشط تم ينهدم.

2-رؤية جديدة:

التقى محمد عبده بالتعليم لأول مرة في الجامع الأحمدي، كما ذكرنا سابقا ومن هنا بدأت النزعة العقلية النقدية عنده حيث كان التدريس بطريقة عقيمة. ليغير المسار إلى الأزهر فوجده ليس بأبعد حال من الأحمدي، وبذلك كان ولابد من حركة إصلاحية تهدف أولا

[1]محمد عبده-الأعمال الكاملة-مرجع سابق-ص156.

الى تقديم الدين بصورته الصحيحة بعيدا عن الجمود و الدغماطيقية بعيدا عن الانحلال و القيود التي تشبه العصور المظلمة، ولهذا وضع نصب عينيه اصلاح الأزهر و مناهج التدريس و المواد المقدمة.[1]

خطط محمد عبده لمشروع الإصلاح التربوي وطالب الأغنياء دعم هذا المشروع لتحقيق آماله حيث يرى بأن هؤلاء هم أصحاب المصلحة الحقيقيةفإن أصلحوا التعليم و نهضوا بالأمةفهم بذلك يحافظون على مكاسبهم فيها، ودورهم أشد من دور الحكومة في هذا المجال اذا "على الأغنياء منا الذين يخافون من تغلب الغير عليهم –الاحتلال- وتطاول الأيدي الظالمة اليهم، أكثر من الفقر، أن يتألفوا ويتحدوا ويبذلوا أموالهم في سبيل افتتاح المدارسو المكاتب و اتساع دوائرها."[2]

ويرى بأن العمل التربوي يمكن أن ينجح ويثمر بعيدا عن التأثر بالعوامل السياسية و غيرها، وأنه أكثر من ذلك يمكن أن يكون بديلا عن الاشتغال بما عداه من العوامل و المهام وهو لذلك يعجب للنبهاء الذين لا يفرغون للتربية بدلا من الاشتغال بالسياسة يقول الأستاذ الامام:" اني لاأعجب لاهتمام لجعل نبهاء المسلمين وجرائدهم كل همهم في السياسة واهمالهم للتربية الذي هو كل شيء، وعليه يبنى كل شيء."[3]

وقد نصح أستاذه جمال الدين الأفغاني في باريس على أن يتركوا السياسة و يعملوا بالتربية لأن ثمارها ستقام في يوم ما إلا أنها ستطول أما السياسة فكأنما تواجه الكل وهو موقف غير صائب لكن الأفغاني وصفه بالمثبط.

ويرجع الأستاذ أسباب الجمود في الأزهر الشريف وغيره من دور التعلم، اما الى عدو للمسلمين طالب لخفض شأنهم واما لمحب جاهل يضن خيرا ويعمل شرا حيث تصور محمد عبده مستقبل الأزهر على هذا الحال بوجهتين اما أن يعاد إصلاحه فتعميره و اما

[1] عبد الرحمان بدوي-مرجع سابق-ص ص8-9
[2] محمد عبده-الأعمال الكاملة-ج3-ص50.
[3] محمد عبده- نفسه-ص158.

تركه على هذا الحال فيدمر و يندثر. ولهذا وضع لائحة لإصلاحه بما يتميز من مكانة لدى المسلمين ولإصلاحه ثم كل المؤسسات الأخرى.[1]

ومن أجل ذلك قام بحصر جميع مراكز التربية و التعليم ورتبها بحسب أهميتها مع مبدأ التدرج في التعليم ابتدأ بالجامع الأزهر الشريف، ثم مدرسة دار العلوم، ثم المدارس التجهيزية العليا، ثم المدارس الأميرية، ثم المدارس الأجنبية، ثم المكاتب الرسمية الابتدائية، وأخيرا المكاتب الأهلية.

لم يتوقف الأستاذ الامام عن حدود الدعوة وحدها فهي لا تكفي لأن عوامل الاستعداد و توفير الإمكانيات عنده أهم من مجرد الدعوة ولذلك كانت جهوده منصبة في رصد الواقع التعليمي و أساليب الدراسة وتأثيراتها على عقول الدارسين لازمة قبل عملية التطبيق الفعلي للبرنامج الإصلاحي. فإن مواجهة مشكلة التربية و التعليم يتم بإحاطة المدارس بأصول المناهج العلمية الحديثة والالمام بأساليب التربية المعاصرة المستخدمة في التدريس و العلوم الإنسانية كعلم النفس و الفلسفة و الاجتماع و علم السياسة و الأخلاق و الاجتماع الى جانب العلوم الطبيعية و الرياضيات و اللغات وكل ما يمكن أن يفيد في تطبيقه على التلميذ المبتدئ وأن يلم المعلم بميزان يزن به ذهن الطالب ودرجة استعداده لقبول التعليم، ثم يتنزل المعلم التلميذ إلى درجته ثم يرتقي به شيئا فشيئ حتي يصل إلى الدرجة التي يمكن فيها من الادراك الدقيق للمعاني، يعني هذا أن أي اصلاح يجب أن يبدأ بإصلاح التعليم واستخدام أساليب التربوية الملائمة.[2]

وقد دعي الأستاذ الامام على ضرورة الجمع بين ما هو معاصر من العلوم و الدين فكان يدعوا الى التعليم المؤسس على مبادئ الدين وشاء أن يكون النموذج الإصلاحي متبلورا في مدرسة العلوم العليا وهي تعليم مدني يستجيب لظروف العصر و يقوم على مبادئ دينية.

[1] عبد الرحمان بدوي-مرجع سابق-ص9

[2] عبد الحميد درويش النساج-مرجع سابق- ص ص20-91.

أما الجانب الآخر لفكر الرجل في موضوع الإصلاح التربوي و التعليمي فقد طالب بديمقراطية التعليم أو طبقية التعليم فهو يقول ان الناس في التعليم طبقات:

الأولى: العامة من أهل الصناعة و التجارة و الزراعة و من يتبعهم.

الثانية الساسة ممن يتعاطى العمل للدولة في تدبير أمر الرعية.

الثالثة: طبقة العلماء من أهل الارشاد و التربية.[1]

3-الإصلاح الأدبي و اللغوي:

يوصف ما قام به الأستاذ الامام من اصلاح لغوي و أدبي بالثورة من أجل هذه النهضة في العصر الحديث، بدأ بنقده للانحطاط الذي آلت اليه اللغة وخاصة في مجال الصحافة لأنها كانت أكثر رواجا، من ركاكة واستعمال ألفاظ في غير محلها و تهشيم للغة، دون مبالات بالتقديم و التأخير، وهذا سيزيد من ضعفها.

بالإضافة الى هذه الانتقادات لكتاب ذلك العصر فقد أشار إلى امر مهم و هو اهتمامهم الى الشكل على حساب المضمون و الى الرنة اللفظية على حساب المعنى واستعمال السجع كبديل للب ومن المعروف عليه أنه أسلوب الطرائف وينقص من هيبة النص ويضعف من المدلول، وفيه تغني بعيد عن الحزم وهذا كله يفضي الى الركاكة، وهذا النوع من الأساليب مرفوض لديه لأنه بعيد عن قواعد البلاغة يقول:" هذا النوع اذا انفرد يعد أدنى طبقات القول وليس في حلاه المنوط بأواخر ألفاظه ما يرفعه الى درجة الوسط."[2]

اذا وجب هجران الالتزام بالمحسنات اللفظية و التخلص من السجع المتكلف، ثم العودة الى الجيد من الأساليب العربية في التعبير، و الالتزام الأمثل لقواعدها مع تطويعها للمضامين الحديثة، واذا أخذنا هذا التجديد بمحل الجد تخطت به طور الركاكة، لكي تعبر عن الآفاق الرحبة لعقل الانسان العربي الحديث.

[1] محمد عبده-الأعمال الكاملة-ج1-ص ص163-164.
[2] محمد عبده الاعمال الكانملة-ج2-ص412

كما سعى الى باب آخر لمعالجته الذي كان حكرا فقط على المستشرقين وهو فتح باب التحقيق في التراث الإسلامي العربي، وكان للرجل فلسفته الخاصة في هذا المجال وهو الرائد في وضعه للمنهج العلمي لتحقيق نصوص بين أبناء الأمة في العصر الحديث، فالقول بهذا ليس معنى التحقيق مجرد البحث عن مخطوطات و منسوخات ثم مقابلتها بغرض تقويم النص السليم على الصورة الأقرب الى ما كتبه أو املاه عليه صاحبه، فذلك ليس أعقد و لا أهم ما في تحقيق النصوص و إن أعقد ما فيها هو ما وضع له الأستاذ المنهج ثم طبقه وهو "نقد النصوص للوصول الى حكم تطمئن له قواعد العلم بخصوص صحة نسبة هذا النص الى من ينسب اليه أو رفض هذه النسبة أو التشكيك فيها."[1]

مثلما حقق في انتساب كتاب "فتوح الشام" "للواقدي" حيث كذب انتسابه للواقدي محللا ذلك بأن الواقدي ممن عاشوا في المئة الثانية للهجرة كانت اللغة في تلك الأجيال متينة التأليف وجزلة اللفظ وبدوية التعبير أما الناظر في هذا الكتاب ينكشف بأن عباراته من صناعات المتأخرين في أساليبها وكلما يدقق المطالع يجد أسلوبه من أساليب القصاصين في الديار المصرية من أبناء المئة الثامنة والتاسعة، ولا يرى عليه لهجة المدنيين ولا العراقيين و الرجل مدني المنبت عراقي المقام. فهو ينقد النص معتمدا في ذلك على:

ا-معيار لغة العصر الذي عاش فيه.

ب-معيار ثقافة المؤلف اللغوية و الأدبية.

ج-معيار البيئة اللغوية.

د-معيار اللغة و الأدب بالنسبة لمن تروى لهم النصوص المقتبسة في الكتاب وتنسب اليهم في الأقوال و الأحاديث.

*المنهج الذي حدده الأستاذ:

فهو لا يكتفي بمخطوط واحد للنصوص، بل يبحث عن مخطوطاته جميعا ومن أجل ذلك يجري الاتصالات و يرسل الرسل الى أنحاء مختلفة من البلاد الإسلامية، ثم يقوم بمقابلة

[1]محمد عبده-الأعمال الكاملة-ج1-ص194.

النصوص وتحقيقها و تقويمها هذا المنهج الذي حدده كتابه في سنة1886م، ولعل أكثر النصوص تعبيرا عن منهجه في تقويم النصوص ومقابلة النسخ المخطوطة بعضها ببعض نجده في تقديم و شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني الذي فرغ من تحقيقه سنة1889م.

هذه أهم العناصر "لمنهج المقابلة" لنسخ المخطوطات فإن الامام لم يتعلمه من المستشرقين أو غيرهم بل كان مبدعا عصاميا في بنائه يقول:" إنني استعنت الله على العمل (...) وأقدمت على ذلك بلا سابق أقتفيه ولا ذي مثال أحتذيه".[1]

[1]محمد عبده-شرح مقامات الهمذاني-المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيون بيروت-ط1-1924-ص6 -

المبحث الثالث: الإصلاح الاجتماعي و السياسي

المطلب الأول: الإصلاح الاجتماعي

من البديهي أن يضع الأستاذ الامام نصب عينيه اصلاح الحال الاجتماعي للأمة الإسلامية و العربية، حيث ناقش جملة من المشاكل ووضعها محل التحليل وضبط لها سبل للخروج من الأزمة وحصر عماد المجتمع في صلاح الأسرة و لا صلاح لهذه الأخيرة الا بصلاح المرأة وسعى كذلك لمعالجة الجانب الاقتصادي و المالي لأنه يمثل حقوق العامة لما فيها من الحياة الاشتراكية والتكافل الاجتماعي.

1-الأسرة والمرأة:

الأسرة هي اللبنة الأولى و القاعدة الأساسية التي تساهم في ارتقاء الأمة و تقدمها، ولذلك وجه الأستاذ الامام تركيزه عليها لإصلاحها و إقامة أسس و قواعد تقام عليها التربية الأسرية فالأسرة أنموذج لقيام الحضارة يختصر كل هذا في قوله:" إن الأمة تتكون من البيوت (العائلات) فصلاحها صلاحها، ومن لم يكن له بيت لا تكون له أمة".[1]

ومن مبررات ذلك أن الانسان لما ولد، ولد وهو محاط بالأسرة التي تحتويه و تعينه على التجارب، وكذلك تحاول أن تلقنه دروسا في الحياة، حيث تختصر عليه الكثير، ويعتقد في هذا التلاحم الأسري دورا في رعاية المحتاجين في المجتمع و الفقراء من أهله ليطال في الأخير جميع الناس فإن صلحت الأسرة الصغيرة وعرفت قوة فإنها ستعين غيرها من الأسر التي حولها و التي فيها بينها قرابة، وبالمثل عاونت هذه الأسر وردت الجميل لها، سيكون طبعا لكل البيوت المتعاونة قوة كبرى و ستمتد هذه المعونة حتى الى الأسرة التي هي خارج هذه القرابة، اذا فحقوق القرابة وفوائدها لا تقف عند من تربطهم علاقة النسب و القرابة فقط، ومن ثم فهي ليست بالعصبي، وانما هي نقطة تجمع و انطلاق نحو التآخي الوطني العام.

[1]محمد عمارة-الإصلاح بالإسلام-مرجع سابق-ص173

وقد عدد جملة من مشاكل العلاقات بين الأسر، واعتبرها الداء الذي ينخر في تماسك الأسرة قد تمثل في التباغض وحب الوقيعة والنكاية .

ومن أهم القضايا التي عالجها هي مسألة "المرأة" ومكانتها داخل الأسرة و المجتمع بشكل عام، فموقف الرجل من قضيتها كان أعضم موقف واقعية و ثورية، في ثلاث قضايا كانت ولا تزال تناضل المرأة من أجل كسبها و الانتصار فيها على تقاليد الماضي البالية و المعوقات القائمة و هي:

ا-قضية تعليم المرأة:

تنمر بشدة عن الوضع الذي تعيشه المرأة من سوء المعاملة وعدم السماح لها بالتعليم و فرض السيطرة التقليدية عليها وهذا ما جاء به لا القرآن و لا السنة انما من صنع العرف المقيت، حيث دعا الى المساوات بين المرأة و الرجل تلك المساوات التي أكد عليها القرآن الكريم، ورفضها المجتمع الشرقي، لقد كرم الإسلام المرأة وجعلها في مرتبة سامية وبين أنه لا فرق بين المرأة و الرجل وأكد ذلك في الخطاب التكليفي فهما سواء فيما يجب عليهما من فرائض، كذلك اذا نظرنا الى الناحية البيولوجية نجد أنها واحدة عند الرجل و المرأة فكلاهما خلق من مادة واحدة ولم يذكر في القرآن الكريم أن الرجل خلق من مادة غير المادة التي خلقت منها المرأة [1]

يقول محمد عبده: "ضرب بينهن و بين العلم بستار لا يدري متى يرفع (...) فأصبح حشو أذهانهن الخرافات، وملاك أحاديثهن الترهات، اللهم الا قليل منهن."[2]

يقرب الصورة الجهل و الخرافة الذي كانت تعيشها المرأة، وينفي الأستاذ الامام أن يكون هذا الجهل ناتج عن العفة و الحياء كما كان يذهب اليه أعداء تعليم الامرأة. ومن أجل الخروج من هذه الوضعية التي كانت تتخبط فيها المرأة في عصره، دعا الى تعليم البنات وتربيتهم فطالب في خطبة له في احتفال أقامته الجمعية الخيرية الاسلامية1896م بتربية المرأة و تعليمها، فقال مستشهدا فقال مستشهدا ببعض آيات القرآن الكريم:" نحن نتمنى

[1] عبد الرحمان محمد بدوي-مرجع سابق-ص15
[2] محمد عبده الأعمال الكاملة-ج1-مرجع سابق ص129

تربية بناتنا، فإن الله تعالى يقول: "ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف"[1]؛هذه الآية و مثيلاتها تأكد بأن الرجل و المرأة يشتركان في التكاليف الدينية و الدنيوية و لكن مجتمعنا كما يرى يترك بناتنا يفترسهن الجهل.

ب-تعدد الزوجات:

من أهم القضايا التي كان لها أثرها الواضح و الخطير على الاسرة قضية تعدد الزوجات، ولقد أوضح بخلاف علماء عصره، موقفا معاديا لتعدد الزوجات، الا في بعض الحالات النادرة، كأن تصاب المرأة بمرض لا يسمح لها بتأدية حقوق الزوجة، مع هذا يرى بأن المروءة تقضي أن يتحمل الرجل ما تصاب به المرأة من علل، كما يرى من الواجب أن تتحمل هي معانة الرجل ان أصيب بمرض.

وفي حالة كون المرأة عاقرا، لأن كثيرا من الرجال لا يحبون أن ينقطع النسل في عائلتهم. أما في غير هذه الأحوال يقول محمد عبده:" فلا أرى تعدد الزوجات الا حيلة شرعية لقضاء شهوة بهيمة وهي علامة تدل على فساد الأخلاق، واختلال الحواس وشره في طلب اللذة."[2]

وقد عدد الأستاذ الامام أسباب البعد عن التعدد في ما يلي:

*التعدد يسبب الوشاية و الغيرة بين الزوجات وبهذا يؤدي الى خلق مشاكل داخل الأسرة.

*التعدد يؤدي الى توليد الضغينة و البغضاء بين الأبناء بحكم أن كل مرأة ترى في أبنائها الصدارة فتحرض الولد ضد أخيه التعدد يسبب الطلاق و من هنا يزيد من تفاقم الفقر و الحرمان و الجرائم و الفواحش.

*التعدد يؤدي الى فساد أخلاق المرأة بعد طلاقها من زوجها.

ج-الطلاق:

[1]سورة البقرة الآية228.

[2]محمد عبده الأعمال الكاملة-ج2-مرجع سابق-ص85.

عرض الأستاذ الامام هذه المشكلة ونظر اليها من منظور عقلي وبين أن الطلاق ليس كما قال الفقهاء مجرد تلفظ بهذا اللفظ، بل هو في المرتبة الأولى يعتمد على النية، فرب رجل يناقش زوجته في شؤون البيت فيرد على لسانه في وقت الغضب الحلف بالطلاق، لذلك لا يجب الالتفات الى اللفظ، وبهذا يوجه نقدا لاذعال للفقهاء الذين انشغلوا" بتأويل الألفاظ و التفنن في فهم معانيها في ذاتها بقطع النظر عن الأشخاص، ولو ترك فقهاؤنا الأشغال بالألفاظ وبحثوا في مآخذ الأحكام التي يقررونها، وعرفوا تاريخها و أسبابها، وقارنوا المذاهب بعضها ببعض وانتقدوا بالجملة، لو لو اشتغلوا بعلم الفقه الحقيقي لتبين لهم أن الطلاق لا يكون طلاقا الا اذا كان مصحوبا بنية الانفصال."[1]

ومن أجل التقليل من مثل هذا الطلاق وما يترتب عليه من تبعات تفضي بالمجتمع الى الانحلال و الآفات طالب الحكومة المصرية أن تضع نظاما للطلاق على أساس وضعها هو و هي:

المادة الأولى: وجب حضور الزوج الذي يريد تطليق زوجته أمام القاضي الشرعي.

المادة الثانية: وجب على القاضي أو المأذون أن يرشد الزوج الى ما ورد في الكتاب و السنة على أن الطلاق ممقوت يأمره أن يتروى مدة أسبوع.

المادة الثالثة: إذا أصر الزوج بعد أسبوع على نية الطلاق فعلى القاضي أن يبعث حكما من أهله وحكما من أهلها أو عدلين من الأجانب إن لم يكن لهما أقارب.

المادة الرابعة: إذا لم ينجح الحكمان عليهما بتقديم تقرير للقاضي أو المأذون وعند ذلك يؤذن للزوج بالطلاق.

المادة الخامسة: لا يصح الطلاق إلا اذا وقع أمام القاضي أو المأذون هكذا حاول الأستاذ الامام أن ينصف المرأة ويكون نصيرا لها ولمشكلاتها من منضور عقلاني.

[1] عبد الكريم بو صفصاف-ج2-مرجع سابق ص ص 71-72.

المطلب الثاني: الإصلاح السياسي

لعل العقلية الموسوعية لدى الأستاذ الامام كانت لها منظور جد حماسي للاتجاه السياسي فموقفه حول السياسة كان متميزا واعتبر العمل بها تمام الانسان بحكم أنه لا يفكر في ذاته كما يعيش مرحلة الفطرة وليس كغيره من البشر بحكم أنه اجتماعي بطبعه بل من يفكر كيف يغير من نمط شعبه أو أفراد أسرته أو قبيلته؟ فهذا من أتم ما يصل اليه عقل الانسان و السياسة هي أحسن كفيل بذلك.

وقد أوضح مهوم السياسة جليا في مقام له كتبه سنة1881م في جريدة "الوقائع المصرية" تحت عنوان: "الحياة السياسية"، مما جاء فيه:" أن للوجود الإنساني في هذه الحياة الدنيا ثلاثة أدوار متتالية، يأخذ بعضها بأطراف بعض: الأول دور الفطرة وهو الوجود الطبيعي و الثاني دور الاجتماع وهو الحالة المدنية، والثالث دور السياسة وهو موضوع كلامنا في هذا المقام فالمرء بالوجود ساذجا فطريا يلتمس الغذاء و المبيت، وسائر الحاجات الطبيعية مما تصل يد إمكانه اليه، ثم يدفعه الحرص على الذات إلى حفظ النوع وتلجئه كثرة الحاجات إلى طلب الاعانة فيتألف و يجتمع ويصير مدنيا، ثم يتقدم في هذه الرتبة، فينظر في شؤون نفسه و يهتم بأحوال جنسه، فيصير سياسيا و هو الانسان المدني الكامل الحقوق الواجبات."[1]

اذا يقسم حياة الانسان الى ثلاث مراحل و يعتبر المرحلة الأخيرة أي الاشتغال بالسياسة هي كمال الانسان في الحقوق و الواجبات لأن الدور الأول يشترك فيه الانسان و الحيوان ، والدور الثاني يتساوى فيه جميع الناس أما الدور الثالث فهو أكمل الأدوار متمثل في السياسة فيصبح الانسان لا يهتم بشؤونه الخاصة و انما يهتم بشؤون الآخرين فيشعر بالمسؤولية اتجاههم وبأحقيتهم في الحياة بجميع أوجهها المعنوية و المادية، في مقدمتها الأمن الغذائي و الحرية وقيادتهم الى حياة أفضل.

عالج مسألة الحاكم و الحكم العدل و علاقة الحاكم بالمحكوم ومدى احتياج كل منهما للآخر عندما قال:" إن حاجة الرعية للحاكم لا تقل أبدا عن حاجته لهم و اذا كانت الرعية

[1]عبد الكريم بو صفصاف-ج3-المرجع السابق-ص207.

بمثابة الآلة للحاكم في تنفيذ مشاريعه فهي ليست آلة صماء بل انها ذات شعور و إرادة و حين يختل الشعور و تفسد الإرادة فلا فائدة من اصدار القوانين و الأحكام".[1]

بمعنى أن الأستاذ الامام دعا الى طاعة الحاكم بقدر عدله على الرعية وأن الشعب لابد له أن يدرك و يطالب بمعرفة كامل حقوقه على الحكومة ، دون أن يلتزم بواجباتها فقط.

استخدم محمد عبه أسلوب التدرج في تطبيق مهجه في الإصلاح السياسي حتى تكون الحياة السياسية متلائمة مع طبيعة المجتمع و تستمد قوانينها من مبادئ الشورى و العدالة و المساواة، وخاصة عند استخدام السلطة و القانون، وعند العناية بالتربية و تحسين العلاقة بين الأفراد و الطبقات ويصف هذا الأسلوب الشيخ مصطفى عبد الرزاق(1885-1947):" إن طريق الأستاذ الامام في الإصلاح و الرقي هو طريق التدرج لأنه يريد أن تحفظ للأمة عوائدها الكلية المقررة في عقول أفرادها، ثم يطلب بعض التحسينات فيها حتى لا نبتعد عنها بالمرة فإذا اعتدوها طلب منهم ما هو أرقى بالتدرج حتى لا يمضي زمن طويل الا وقد انخلعوا عن عاداتهم و أفكارهم المنحطة إلى ما هو أرقى و أعلى من حيث لا يشعرون أما اذا وضع لهم من الحدود مالم يصلوا الى كنهه أو كانوا من العمل بما لم يعهدوه رأيتهم يتخبطون في السير."[2]

ا-مبادئ نظام الحكم عند محمد عبده:

يقول الأستاذ الامام :"أن السياسة حفظ الشيء بما يحوطه من غيره، فسياسة الرعية حفظ نظامها بقوة الرأي و الأخذ بالحدود"[3]،من خلال هذا التعريف ندرك مدى حرصه على ضرورة "حفظ نظام الرعية" ، وندرك أيضا الوسيلة التي نعتمدها من أجل تحقيق ذلك ألا وهي :"قوة الرأي والأخذ بالحدود" ومع أنه لا يذكر رأيه فيها و لا يذكر طبيعة هذه الحدود صراحة إلا أنه يقصد "رأي الأمة"، وما ينتج عن مشورة عقلائها و ممثليها في

[1] عبد الحميد درويش النساج-مرجع سابق –ص105.
[2] عبد الحميد درويش النساج-مرجع سابق-ص106.
[3] محمد عبده-الأعمال الكاملة-ج1-مصدر سابق-ص580.

رفع هذه الحدود و الأهم الآن هي المبادئ المتعلقة بطبيعة نظام الحكم، التي كان يطالب بتحقيقها و يضمها دستور البلاد وكان أهمها:

أولا-التأكيد على أن تكون حكومة البلاد قانونية أي مقيدة بالدستور والقانون.

ثانيا-النص على دور مجلس شوري (النواب) في مساعدة الحكومة في البلاد.

ثالثا-النص على ضرورة وجوب اطلاق حرية التفكير و الأعمال والأقوال.

رابعا-القيام بوضع القوانين الحديثة والملائمة و النظام التي تكون هي الحد الفاصل بين الحق و الباطل، وبين الصحيح و الفاسد، في مختلف في مختلف جوانب حياة المجتمع المصري.[1]

يبدوا مما سبق أنه كان يؤمن بضرورة وجود قانون و دستولر في مصر، وكذلك وجود مجلس نيابي لتمثيل المواطنين و الدفاع عن مصالحهم، لأنه كان يؤمن بالمفاهيم الديمقراطية الأوربية التي تعتمد على حرية الانتخاب و التعبير و التفكير و العمل، شريطة أن تكون هذه الحريات مقيدة بدستور أو القانون الأساسي كما يطلق عليه محمد عبده.

ب-الشورة واجبة ونصح الحاكم:

نادى الأستاذ الامام بضرورة الشورى كونها تساهم في جمع الرأي العام مع مع احترام القانون الذي يكون صادر عن رأي الأمة و لا يكون ذلك الا من خلال الشورى و الاتفاق،"فثبت أن وجودها في بلادنا المصرية ممكن، بل وواجب محتوم، حيث قد ثبت أنه لا مانع من احدى الجهتين، (الأمة و الحكومة) وأنهما طالبتين لوجودها وتحققها في الديار المصرية التي استعدت للحصول على الغايةالحسنة وتهيأت للوصول الى درجات الكمال."[2]

كما يبين الطبقة السياسية التي تطبق عليها رقابة المجتمع، حيث بين أن الملوك و السلاطين هم من الطائفة التي يجب ارشادها وتوجيهها اذا حادت أو انحرفت عن الحق

[1] عبد الكريم بو صفصاف-ج3-مرجع سابق-ص ص245-246

[2] محمد عبده-الكتابات السياسية-تقديم محمد عمارة-وزارة الثقافة و الفنون و التراث-الدوحة-دط-2013-ص115.

وقد ساق شواهد تأكد ذلك، قول الرسول صلى الله عليه وسلم:" إن الدين النصيحة ثلاث مرات. قيل لمن يا رسول الله قال...ولأئمة المسلمين وعامتهم."

يقر محمد عبده بأن الإسلام لم يحدد الآليات أو الطريقة التي يمكن بها تطبيق الشورة، لذا وجب الأخذ بالطريقة الغربية كما أخذوا هم عنا، ولذا فلا غرو كما يعتقد من تقليدهم في ذلك، فكتب عن الطرق و الأساليب التي تتبع في الشورة ما يأتي:" ومعلوم أن الشرع لم يجيء ببيان كيفية مخصوصة لمناصحة الحاكم، ولا طريقة معروفة للتشاور عليهم، كما لم يمنع كيفية من كيفياتها الموجبة و بلوغ الموارد فيها فالشورة واجب شرعي وكيفية اجرائها غير محصورة في طريق معين، فاختيار الطريق المعين باق على الأصل من الاباحة و الجواز، كما هو القاعدة في كل مالم يرد نص بنفيه."[1]

الدفاع عن الشورة من قبل محمد عبده هو رفض للاستبداد ومهاجمة له، والمقصود من الشورة هو ضمان حرية الأفراد في ابداء الرأي مما يدعم وجهة الصواب ويقلل إمكانية الخطأ في تسيير أمور الجماعة و الأمة، فرأي الواحد ليس مثل رأي الكل، بل إن رأي الاثنان أفضل من رأي الواحد.

ج-موقفه من الخلافة والجامعة الإسلامية:

كان ينادي محمد عبده بالوحدة الإسلامية، ولكن ليس على أساس نظام واحد وحاكم في كل العالم الإسلامي، وقد كتب مقالا في صحيفة العروة الوثقة سنة 1884م جاء فيه:" ألتمس بقولي هذا أن يكون ملك الأمر في الجميع شخصا واحدا، فإن هذا ربما كان عسيرا، ولكني أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن، ووجهة وحدتهم الدين، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع فإن حياته بحياته وبقاءه ببقائه."[2]

[1] محمد عبده الأعمال الكاملة-ج1-مرجع سابق-ص354.
[2] عبد الكريم بو صفصاف-ج3-مرجع سابق-ص256.

خلاصة:

وقصارى القول نخلص إلى أن الأستاذ الإمام من خلال ما قدمه من القواعد و الحلول و التوجيهات حاول الإحاطة بجميع الجوانب، ومعالجة مختلف المشاكل و فك طلاسم الإشكاليات التي كانت تعترض الفرد و الأمة الإسلامية جمعاء، وهذه هي أهم المعالم البارزة في الجانب الإصلاحي للفرد الذي على أساسه تقام أمور الدين و الدنيا، من المجال الاجتماعي و السياسي بل حتى الاقتصادي، وهذا كله لا يقام ولا يمكن أن يغير من الأمر شيء مالم يتم تقويمه تقويما تربويا سليما.

الفصل الثالث

النقد والتقييم لمشروع الإصلاح لدى محمد عبده

الفصل الثالث: التقييم و النقد لمشروع الإصلاح لدى محمد عبده

تمهيد:

ليس من المستغرب أن ينال مشروع الأستاذ الامام محمد عبده الاهتمام البالغ نظرا لما قدمه من تنظير لاقامة هذه الامة عامة و الدولة المصرية خاصة، بداية بإصلاح الدين و دافع بشدة على الوسطية حيث اتخذها منهجا له في كل المشاريع الأخلرى سواء في التربية أو المجتمع أو السياسة، ولهذا نجد العديد من الرواد حول مشروعه هذا، اذ أصبح في محك التقييم و النقد من خلال جملة المتأثرين و الناقدين لمشروعه النهضوي الإصلاحي.

المبحث الأول: الانتقادات الموجهة لمحمد عبده و مشروعه

المطلب الأول: الانتقادات العربية الموجهة للمشروع الإصلاحي

أولا: الناحية الدينية

ظهر العديد من النقاد للأستاذ الامام من خلال ما قام به كما كان يتصوره اصلاحا بأنه افساد لمعالم الشرع ، وخاصة فيما كان ينتهجه مهج لتقريب الأديان، ولعل أشر هذه التنظيمات المناهضة للإسلام وظهرت في البداية كمنظمة دينية مقربة للأديان سميت الماسونية اليهودية الصهيونية التي كانت تبطن بداخلها كل الشرور ومحاولة القضاء على الأديان المخالفة لها وخاصة الإسلام ومن الذين وقع في شركهم هو الأستاذ الامام ،حيث عاب عليه الكثيرون في هذا الأمر وخاصة من عاصروه من أمثال "مصطفى صبري"(1860-1945)يعد من الذين عابوا عليه نقده للأزهر الشريف ،وهذا ما اتضح سالفا في ثورته الإصلاحية للدين وذلك في كتاب :"" موقف العقل و العلم من رب العالمين وعباده المرسلين". ويعتقد كذلك بأن "محمد عبده" قد نزع مكانة الازهر خاصة عندما قرب الأديان الأخرى منه فاتحا بابا لدخول الماسونية وفي هذا الصدد يقول:" أما النهضة الإصلاحية المنسوبة الشيخ محمد عبده فخلاصتها أنه زعزع الأزهر هن جموده على الدين فقرب الكثير من الأزهريين الى اللادينيين خطوات ولم يقرب اللادينيين الى الدين خطوة، وهو الذي أدخل الماسونية إلى الأزهر بواسطة شيخه جمال الدين الأفغاني".[1]

بمعنى أن الحركة الإصلاحية للأستاذ الامام تعرضت لتقويض جارح نظرا لأنه قام بزلزلة أركان الأزهر و السبب في ذلك تقريبه لعدد كبير للادينيين الى الدين ولو خطوة، واتهم بأنه كان السبب في دخول الماسونية للأزهر.

هذا و قد انتقد زكي الميلاد(1965-...) وهو من المفكرين الباحثين في الفكر الإسلامي الحديث وعاب عليه حيث انتقد كتابه "رسالة التوحيد" التي اعتبرت أنها من أهم المؤلفات في تجديد الدين و علم الكلام، "إن رسالة التوحيد كتاب يتصف بالطرح العام، وهو مجرد دروس تثقيفية في العقائد ألفها الشيخ محمد عبده على طلبة المدرسة السلطانية خلال فترة

[1]محمد محمد حسين-الإسلام والحضارة الغربية-دار الفرقان-دط-1985-ص99.

تواجده في بيروت 1885م، وأهلها بعد ذلك إلى سنوات وبعد عودته إلى مصر فكر في جمعها وأصدرها في كتاب بعد اجراء الإضافات و تعديلات."[1]

ثانيا: الناحية التربوية

رغم الاسهامات النظرية و التطبيقية التي قدمها الأستاذ الامام في المجال التربوي الا أنه اعتبر التربية مفتاح لكل الأبواب و لا اصلاح الا بإصلاح التربية، لكن يعيب عليه الكثير منم المفكرين هذه الرؤية حيث يرى في ذلك المفكر العربي المعاصر محمد عمارة الذي حقق الأعمال الكاملة لمحمد عبده موجها له جملة من الانتقادات خاصة في الخلط بين التربية و المجالات الأخرى و بالأخص في فكرة التخلي عن الكفاح السياسي و الاهتمام بالمجال التربوي على اعتبار أن هذا الأخير هو الدافع لبناء لبنة تسعى لبناء وتقويم سياسة متينة للبلاد حيث يقول :"محمد عبده أخطأ عندما اعتقد أن الإصلاح بواسطة التربية بديل عن العمل السياسي المباشرضد سلطة الاحتلال فإن التحرر الفكري و السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي جميعها وجوه متعددة لعملة واحدة ولابد لأي حركة سياسية ناجحة تتصدى لمستعمر يحتل بلادها من أن تخوض صراعها ضد هذا المستقبل على كل هذه الجهات التي تكون جميعا ميدانا واحدا لهذا النظال."[2]ومعنى ذلك أن اعتقاد محمد عبده الذي يرمي بأن الإصلاح و النهضة و مقاومة الاستعمار يتم وفق منهل العمل التربوي فقط، لكن في هذا الأمر لقد أخطأ في ذلك اذ لأقصى العمل السياسي و الذي من دوره مجابهة الاستعمار، فلا يمكن إلا أي مجال أن يعوض الحركة السياسية.

إن التنظير التربوي للأستاذ الإمام يظل مثاليا بعيدا كل البعد عن الواقع إذا فمن المستحيل أن تتطابق مع ما يجول في ذهنه، والحجة الدامغة على ذلك هو اعتبار التربية بأنها هي الحل لكل المجالات الأخرى وعلى أنها آداة تحرر من كل القيود وهي وسيلة تكمل كل نقص وكأنها شبيهة بعصى سحرية.

ثالثا: الناحية السياسية و الاجتماعية

[1] زكي الميلاد-مرجع سابق-ص95.
[2] محمد عبده-الأعمال الكاملة-ج1-المصدر السابق-ص88.

بالإضافة الى الانتقادات السالفة فقد توجه جملة من المفكرين إلى نفس السياق ولكن في المجال السياسي و الاجتماعي، حيث يعتقد محمد الجنيبهي (1842-1927) أن مجابهة محمد عبده للمتصوفين و التصوف ورفضه لأفكارهم كان سبب في خدمة الاستعمار وبالتالي خدم مصالح سياسية خاصة بالإمام، وأما ما يدل على ذلك أن رجال التصوف كانوا دعاة وحمات الجهاد، وهذا ما تصوره الجنيبهي على أن محمد عبده أنه مات حسرة، لأن المستشرق السياسي "الورد كرومر"(1841-1917)تخلى عنه. حيث كان هذا الأخير ممن ساهموا في تقديم الدعم للإمام لا حتى صار له نفوذ كبير داخل القصر الملكي بل وأكثرهم مكرا.[1]

حيث كان الغرض من هذا كله استخدام محمد عبده لتنفيذ أغراضه السياسية التي كانت محط اجماع من طرف سياسة الدولة المتحالفة، فوظيفة الإفتاء التي اولاها "كرومر" ل محمد عبده كانت لغرض سياسي بحت وحماية فرنسا وذلك من خلال تدخل الشيخ.

وأعظم خطة سياسية اتخذها الإنجليزية للقضاء على الدين الإسلامي تتمثل في انشاء (مجلس شورة القوانين) الذي اتخذوه مصدرا، وكان لعبده دور كبير في انشاء وخدمة هذا المجلس، أو هذا مادفع بالمستشار القضائي الإنجليزي الى رثاء محمد عبده بعد وفاته.

[1]محمد محمد حسين-مرجع سابق-ص86.

المطلب الثاني: الانتقادات الغربية لمشروع محمد عبده

وبم أن المشروع الإصلاحي لمحمد عبده شاع صيته آن ذاك فقد تعرض للانتقادات من قبل مفكرين غربيين و من أشدهم هجوما على الأستاذ الامام نجد المستشرق الألماني "هورتن ماكس"(1874-1955) (الذي اهتم بالفلسفة و علم الكلام في الإسلام و أصدر العديد من الدراسات و الترجمات التي حققها مثل كتاب الفصوص للفارابي)، وقد عاصر الأستاذ الامام وشهد مشروعه الإصلاحي ، حيث وقف معارض لفكره واعتقد بأن محمد عبده غير مؤهل و جدير بأن يؤسس مشروعا نهضويا و اصلاحيا لمصر و للأمة الإسلامية ،" إن هورتن لا يضع محمد عبده في مصاف عظماء المفكرين في الإسلام. وقد درس مصنفاته من وجهة نظر العالم الغربي، الذي يدرس الإسلام و الذي يرى أن الفرصة قد سنحت لإيجاد نقد علمي في هذا الظرف الدقيق من تطور الإسلام يتناول النظر الفلسفي كله بين المسلمين و خاصة علم التوحيد بالتمحيص العلمي الدقيق لإصلاح ذلك و استأنف تقريره في قالب يتلاءم مع الموقف الجديد، وإضافة ما يمكن من الحلول لبعض مشاكل التفكير في العصر الحاضر".[1]

والمعنى هذا أن هورتن سعى الى ضبط الجوانب التي فيها ضعف في فكر و الفلسفية الإصلاحية للأستاذ الامام وكانت البداية بالحط من قيمته وأخرجه من خانة العظماء المسلمين وأن المؤرخين الغربيين يعتقدون بأن الشرق في هذه المرحلة لا يزال يخلو من العظماء الذين سيرفون شأنه أمثال ابن سينا الذي عرف بأنه ساير الثقافة الجديدة، وقضى على ما في القديم من لغو ونهض بما فيه من خير، وأدرك إدراكا واضحا أمهات مسائل المعرفة الحديثة في العالم، ويحاول حلها.

وطرائق الشيخ عبده ليست موضوعية علمية بالقدر الكافي، فلم تبرأ النتائج التي وصل إليها من انحاء النقص، وهو لم يحاول، ولو مرة واحدة، نقد المعرفة نقدا متينا. وما وجد عنده علما خلا من الشوائب.

[1]تشارلز أدمس-الإسلام و التجديد في مصر-ترجمة عباس محمود-مراجعة زكريا الشلق-اعداد الهيئة العامة لدار الكتاب و الوثائق القومية إدارة الشؤون الفنية،الجزيرة-القاهرة-دط-2015-ص100.

أما الفلسفة فيكاد الانشغال بها يقارب في رأيه الخروج على الدين، ومن العبث البحث عنده نظر شامل للكون قائم على أساس علمي وكل ما هو موجود انما هو هدم للأشياء التي يقضي بهدمها روح التقدم، دون أن يتوفر بناء جديدا لعالم التفكير.

كما يرى هورتن أن محاولة محمد عبده تقرير مسائل الفلسفة و الدين، نجح نجاحا جزئيا فقط، فقد وفق الى تمهيد السبيل للتفكير العلمي، و الثقافي العلمي الحديث وأظهر عجز القديم و قصوره.

ويضيف بأن شهرته العلمية ليس لأنه أحيا العلم و المعرفة انما قيمته ارتبطت بالجانب العاطفي لدى الأمة لأن توجهه كان يرمي أولا لإحياء الدين، يقول هورتن:" إن قيمة الحقيقة ليست في ميدان العلم، ولكنها في احيائه للعاطفة الدينية، ونجد عنصرا هاما من عناصر قيمته، في اعترافه في عجز الفلسفة المدرسية، وقصور غاياتها، وفي أنه رأى أن الفرصة قد حانت لوضع أصول فلسفة حديثة".[1]

[1] تشارلز أدمس-مرجع سابق-ص101.

المبحث الثاني: تثمين المشروع وامتداده في الفكر العربي

المطلب الأول: تثمين ما جاء به محمد عبده

رغم الانتقدات التي تعرض لها الأستاذ الإمام إلا أن هناك من أبناء الأمة و كذالك من الغربيين من أنصفوه و رفعوا مكقامه إلى مصاف الفلاسفة و العضماء من المفكرين، ومن المفكرين المعاصرين من دافع عنه بشدوة واعتبر ما وصل اليه فلسفة ولقبه بالفيلسوف المصلح نجد الرجل العصامي عباس محمود العقاد في كتابه "عبقري الإصلاح" يقول:" يتضح للأستاذ الامام مذهب فلسفي مستقل في موضوع الفلسفة العامة وهو البحث عن الوجود أو البحث عما وراء الطبيعة على اصلاح أكثر المحدثين، وتتضح له مع هذه الفلسفة العامة فلسفة خاصة في سائر الاجتماعيات و العقليات: ومنها فلسفة الأدب و الفن و فلسفة اللغة و البيان على الاجمال."[1]

تتضح فلسفته فيما وراء الطبيعة في فلسفة متصوف اطلع على آراء الفلاسفة التي دار عليها البحث بين المتكلمين و المعتزلة و فلاسفة المسلمين، كما له سعة اطلاع على فلاسفة الغرب في العصور المتأخرة وهذا ما مكنه من الجمع بينها و بين ما يشبهها من أقوال المتقدمين، واستقلاله بالفكر ثم بالعمل في الإصلاح، يميزانه بمذهب بين مدارس الفلسفة الإسلامية، فهو مع الفلاسفة و المعتزلة في تحكيم القياس و المنطق و العلوم الكونية، ولكنه يخالف رأي الفلاسفة في معنى الوجود ومعنى العلوم بالنسبة إلى الحقيقة الالاهية، ويخالف رأي المعتزلة في مجادلاتهم العقيمة حول مسألة الصفات وما تفرع عليها من كلام عن خلق القرآن.

اذا فهناك حد فاصل بين فلسفة الأستاذ الامام و بين مخالفيه من جماعة المعتزلة و المتكلمين و الفلاسفة الأقدمين، يتمثل هذا الحد في القدرة على حسم الجدل العقيم بالرجوع إلى حكم العقل السليم، أو هو القدرة العلمية على حل المشاكلات العقلية.

[1] عباس محمود العقاد-عبقري الإصلاح و التعليم الامام محمد عبده-مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة-دط-دت-ص157.

ومن مفكري الغرب الذين ثمنوا مشروع الأستاذ الامام وضموه الى قائمة الفلاسفة نجد موقف الدكتور "هويدي" الذي حاول الإجابة على السؤال الذي طرحه رجال الفكر العربي المعاص، وهو: هل كان الامام محمد عبده فيلسوفا أو صاحب اتجاه فلسفي؟ وكانت إجابة الدكتور هويدى متوافقة إلى حد بعيد مع الرأي القائل أن فلسفة الامام قد جمعت بين عناصر الفلسفة الإسلامية الثلاث و هي التصوف و الفلسفة وعلم الكلام، وأن منهجه الإصلاحي تميز بنفس سمات المنهج الفلسفي عند العرب في الجمع بين النظر و العمل، و الاعتماد على العقل و النقل.[1]

كما عالج قضايا الفلسفة و علم الكلام و حاول الجمع بين الفلسفة و الدين على طريقة الفلاسفة، وأن حياة الامام و منهجه الإصلاحي الشامل و العديد من آرائه هي التي تجيب على هذا السؤال، وكذلك اهتمامه بدراسة قضايا التأويل و التفسير، وتحكيم العقل وقواعد العلم في قضايا الأخلاق و السياسة والمجتمع، وممارسته لمناهج التحليل والنقد واهتمامه بطبيعة المعرفة وحقيقة العلم و فائدته، ودور العقل في تنبيه الوجود وايقاظ الضمير، وتصحيح الأخطاء، و التمييز بين الهدى و الضلال، وايمانه بالحرية الفكرية وممارسة النقد وفق قواعد العقل و البرهان و الصدق.

يوضح الدكتور هويدي بأن محمد عبده ناقش العديد من القضايا الفلسفية و علم الكلام كالحرية و الإرادة و الفعل و الصفات الالاهية،واستطاع شرح العديد من قضايا الفلسفة الإسلامية، وشرح المنطق ،وساهم في علوم الأدب بشرح نهج البلاغة، كما ساهم في علم التصوف برسالة الواردات.

[1] عبد الحميد درويش النساج-مرجع سابق-ص110.

كما كان البعض الآخر موضوعيا في الحكم على فكر محمد عبده حيث وصفه المفكر "ولفرد بلنت" بالعقلانية و الوسطية ووصفه بالفيلسوف و الامام الرائد و الوطني و الكبير، وقال بهذا أيضا المستشرق الإنجليزي "ادوارد براون" و الذي استمع الى دروسه في الأزهر وقرأ بعض مؤلفاته وقال في وصفه:" رأيت كثيرا من البلاد و العباد فما رأيت مثل الامام قط لا في الشرق و لا في الغرب، فوالله كان وحيدا في العلم وحيدا في التقوى والورع وحيدا في البصيرة و الاضطلاع على ظواهر الأمور وبواطنها وحيدا في جميل العبر و خلوص السريرة و السيرة".[1]

[1]المرجع السابق-ص113.

المطلب الثاني: امتداد فكره الإصلاحي عربيا و عالميا

أكثر ما تميز به الشيخ محمد عبده أنه تمكن من تأسيس مدرسة فكرية وإصلاحية، عدت واحدة من أهم المدارس الفكرية التي ظهرت في مصر و العالم العربي الحديث و المعاصر، وضمت رجالا هم من ألمع الرجال الذين عرفتهم مصر في حقبتها الحديثة و المعاصرة وجميعهم كان من طبقة المصلحين و المجددين.[1]

والظاهر أن من بين التلاميذ الذين حذو حذوه وأكثرهم شيعا نظرا للصحبة القائمة بينه و بين الأستاذ الامام ألا وهو المفكر و رائد الاعلام الفذ محمد رشيد رضا، ويعتقد البعض بأن المدرسة الإصلاحية التي تركها الأستاذ الامام في مصر بحسب روادها وشخصياتها وتشعباتها، تنقسم في نظره إلى أربع مدارس هي: المدرسة الاجتماعية ورائدها قاسم أمين، والمدرسة السياسية ورائدها سعد زغلول، والمدرسة الدينية ورائدها الشيخ أحمد الظواهري، والمدرسة الفلسفية ورائدها الشيخ مصطفى عبد الرزاق.

1- محمد رشيد رضا (1282ه-1865م/1356ه-1935م)

ولد في قرية القلمون منم أعمال طرابلس الشام، وفي كتابها تعلم القرآن والخط وقواعد الحساب، ثم دخل المدرسة الرشدية، وبعدها دخل المدرسة الوطنية الإسلامية حيث درس العلوم العربية و الشرعية و المنطق و الرياضيات و الفلسفة والطبيعة ،في هذه المرحلة اطلع سرا على أعداد مجلة العروة الوثقى فكان لذلك تأثير كبير و حاسم عليه، فرحل الى مصر ليلتقي بالشيخ محمد عبده و يصاحبه و يشتغل في العمل الإصلاحي. وفي مصر أنشأ مجلة المنار التي أخذت على عاتقها أمر الإصلاح الديني و الاجتماعي و العلمي، اذا فالدعوة الإصلاحية التي قام بها رشد رضا كانت امتداد للدعوة التي أداها محمد عبده وهي سليلة لها.[2]

ان الدعوة الإصلاحية التي قام بها رشيد رضا كانت تحيط بكافة جوانب الحياة وتوجه من خلال تأثره بأستاذه محمد عبده الى مواصلة المشوار الذي بدأه الأستاذ الامام فقد زاد

[1] زكي الميلاد- مقال:محمد عبده وتطور الفكر الإصلاحي-مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
[2] فهمي جدعان-أسس التقدم عند مفكري الإسلام و العالم العربي الحديث-دار الشروق،بيروت-ط1-1988-ص589.

على مجلة المنار اصدار جملة من الكتب التي تتجه نحو الإصلاح الديني و السياسي والاجتماعي ونذكر منها مايلي:

-تفسر القرآن الكريم المشهور بتفسير المنار وهو في اثنى عشر مجلد.

-التفسير المختصر المفيد.

-تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده، وهو في ثلاثة أجزاء.

-نداء للجنس اللطيف(حقوق النساء في الإسلام).

-المنار و الأزهر.

-الخلافة أو الامامة العظمى.

-المسلمون و القبط.[1]

اما نهجه وآراؤه فكانت جد متقاربة على ما كان يصبو اليه الأستاذ الامام التي تختصر في الأسس التالية:

1-استقلال الفكر وحرية العقل في العمل، واجتناب تقليد العلماء، فقد دعى القرآن الكريم الى اعمال العقل فذكر العقل فيه زهاء خمسين مرة.

2-ابطال البدع و الخرافات و التقاليد و العادات التي أفسدت العقائد و الأخلاق و الأعمال وروجت في المسلمين أسواق الدجل و الخرافات مثل بدع الموالد و عبادة القبور و المشاهد.

3-اعتماد القرآن و الحديث النبوي في تصحيح العقائد وتزكية النفوس وتهذيب الأخلاق و التباع المحض في العبادات على منهاج السلف الصالح ، ويقتضي ذلك احياء علوم التفسير و السنة و آثار السلف، ويستنكر الجمود الفكري الذي ألم بالمقلدين من علماء عصره.

[1]على المحافظة-مرجع سابق. ص89.

4- اصلاح نظام التربية و التعليم اذ وجه اهتمامه بشكل خاص الى الأزهر مطالبا بإصلاح نظام التعليم فيه، متمما بذلك ما بدأ به استاذه الشيخ محمد عبده.

5-الدفاع عن الإسلام وذلك بالرد على الملاحدة ودحض مزاعمهم و حججهم، ويقضي ذلك التحقيق في صحة الروايات المختلف فيها فينتقي الأحاديث الصحيحة و اهمال الأحاديث الموضوعة.

6- القيام بالوعظ و الارشاد في مساجدهم ومجامعهم وقراهم و مزارعهم وبدوهم و حضرهم بالخطب و الدروس العامة و التأليف في العقائد و العبادات و الأخلاق و الآداب الدينية.

8-الدعوة إلى الإسلام في العالم، وذلك بعد تهيئة جيل من المثقفين ثقافة دينية سليمة و الملمين باللغات الأجنبية و العلوم الحديثة.

2-المدارس الأربعة:

ا-المدرسة الاجتماعية "قاسم أمين":

واذا كان محمد عبدوه حاول أن يصلح الجانب الاجتماعي وخاصة الأسرة بإصلاح شؤون المرأة و حريتها في شتى المجالات و ضبط موازاتها مع الرجل، لكنه لم يستطع أن يحقق ذلك الإصلاح الذي كان يصبوا اليه فقد تعهد أحد أصدقائه و مريده الأخيار (قاسم أمين) ونهض بالدعوة إليه في حماسة لا تفتر، حتى أصبح اسمه علما على حركة تحرير المرأة في مصر.[1]

وقد لقي قاسم أمين –كما لقي محمد عبده- أشد المعارضة من المحافظين المتزمتين الذين يعتقدون أن كل تجديد ضرب من الالحاد و المروق من الدين.

ونظر قاسم أمين في العيوب و الآفات التي نخرت بالمجتمع المصري، فوجد أن مرجع ذلك إلى أن نصف الأمة قد انتابها الشلل التام في الحياة الاجتماعية، شلل سببه الجهل و

[1] عثمان أمين-رائد الفكر المصري الامام محمد عبده-المجلس الأعلى للثقافة-دط-دت-ص216.

التأخر اللذين قيدت بهما المرأة عندنا. وحرص قاسم أمين على أن يبين أن الإسلام، خلافا للوهم الشائع، لم ينظر للمرأة نظرة مهانة، بل رفع من قدرها وأعلى شأنها. وإذا كانت المرأة قد عانت شيء من المظالم في المجتمع الإسلامي، فليس الإسلام في بساطته الأولى بمسؤول عن ذلك، وإنما المسلمون في العهود الأخيرة هم وحدهم المسؤولون.

وخلاصة الإصلاح الذي أراده قاسم أمين للمرأة أمران: يتصل الأوبل بالعادات أو العرف الذي تعامل المرأة بمقتضاه وينظر به إلى تعليمها و تربيتها. و الثاني نداء إلى رجال الدين أن يراعوا مقتضيات العصر الحديث ومطالبه، وأن يتحرروا في تطبيقهم لقوانين الشريعة من فهم النصوص على ظواهرها.

ب-المدرسة السياسية "سعد زغلول":

سعد زغلول كان التلميذ المقرب للأستاذ الامام، وأنه كان معروف بصدق نزعته الوطنية، وأنه نهج في السياسة المصرية على نهج أستاذه محمد عبده.[1]

تولى سعد زغلول وزارة المعارف سنة 1906م، فاهتم بشؤون التعليم و الثقافة على وجه العموم، وحرص على نشر اللغة العربية، وتعميمها في المدارس المصرية على وجه الخصوص.

ولما أنشأت "الجمعية التشريعية" في سنة 1912م تقدم لانتخاباتها في دائرتين و نجح فيها معا، ثم انتخب وكيلا للجمعية التشريعية، فكان وجوده بجانب الأعضاء مؤذنا بروح ديمقراطية جديدة، وكانت مساجلاته في الجمعية مؤذنة بتطور جديد في الأمة.

وقد ضل يجاهد في ميدان النيابة حافظا على حقوق الأمة ، ولما انتهت الحرب العالمية الأولى، تقدم الصفوف مطالبا المحتلين بأن يبروا بوعودهم في الجلاء على مصر ونادا في المصريين المنقسمين أن يكونوا كتلة واحدة تعمل لصالح الوطن حيث قاد ثورة إصلاحية سنة 1919سعى الى تحقيق الوحدة بين المسلمين والقبطيين و الفلاحين و

[1]نفس المرجع-ص218.

الاقطاعيين، وبفضل هذه الجهود التف حوله الشعب وآمن بقيادة راسخة في الأمة المصرية، واستحق بجدارة أن يلقب "بطل الاستقلال".

ج-المدرسة الدينية " الأحمدي الظواهري":

اهتم الظواهري بالدعوة الإسلامية عامة فتجلى ذلك في كتابه "العلم و العلماء". وقد ردد فيه صاحبه تعاليم الامام في الدعوة الى اصلاح الأزهر، والمطالبة بضرورة تطور التعليم فيه، وفقا لحاجات العصر و تقدم المعرفة. فليس بدعا أن نرى المؤلف –وهو تلميذ الأستاذ الامام- "يحاول الجمع بين وجهة نظر الإسلامية والإحساس بفائدة ما يأتي من مصادر أخرى"، كما قال عليه المستشرق "زاكس" وأن يدعوا المسلمين إلى أن يأخذوا لا عن الغرب فحسب، بل عن الصين و اليابان أيضا كما يلح على وجوب تطهير الإسلام من الخزعبلات و العوائق التي تقوم في سبيله. [1]

كما نجد الظواهري يوسع دائرة دعوته الإصلاحية، متجاوزا الحدود المصرية، نازعا إلى إصلاح أشمل و أخطر بالقياس إلى ما كان معروفا في ذلك الحين: فقد مد بصره إلى العالم الإسلامي بأسره ودعا إلى عقد مؤتمر إسلامي عام يلتم كل سنة في إحدى عواصم البلاد الإسلامية، ليتشاور فيه مندوبو تلك البلاد في أحوال المسلمين، وما ينبغي عمله لجمع كلمتهم وبث روح التعاون بينهم.

كان سباقا في ايفاد البعوث المصرية إلى بلاد الصين و الحبشة و الكنغو و غيرها لنشر الإسلام وكان يرى أن أفض ما تنفق فيه أوقاف المسلمين الخيرية هو هذا الباب، فهو أقرب إلى مقاصد الواقفين. مع سعيه الى استقبال بعوث من تلك البلدان الى مصر لتلقي تعاليم الإسلام في الأزهر فيكون أعضاؤها بعد عودتهم رسل الهداية في بلادهم.

د- المدرسة الفلسفية "مصطفى عبد الرزاق":

[1] نفس المرجع-ص220.

كان مصطفى عبد الرزاق من خاصة تلاميذ الامام محمد عبده، واقربهم إليه بروحه و عقليته، فقد جمع بين القديم والحديث، والإسلامي و الغير إسلامي، و الشرقي و الغربي ثم تمثل كل أولئك في قلبه الكبير و عقله الراجح ،وخرج به إلى الناس في صورة لا عهد لهم بها من قبل: صورة هي من صنع مصطفى عبد الرزاق نفسه. وظل الرجل وفي لروح أستاذه حريصا على تطبيق تعاليمه، فلم تفته فرصة إلا انتهزها للكتابة في الصحف عن سيرة الأستاذ الإمام و آثاره ووجهته في الإصلاح. وفوق كل هذا جاهد مصطفى عبد الرزاق بقلمه و لسانه و حياته العلمية، لخدمة الدعوة الإصلاحية، و نشر الحرية الفكرية التي نهض بها الأستاذ الإمام.[1]

كان الأستاذ عبد الرزاق يعتقد أن هناك شيء فوق العلم و فوق الفن، وهذا الشيء هو ما يطلق عليه اسم "الأخلاق" وقد سموه الفلاسفة الرواقيون "فن الحياة" وهو أعلى الفنون، لأن موضوعه هو الجمال بمعناه الصحيح أي جمال الروح. ورأى أن الأخلاق لابد أن تكون فنا للحياة، أي أن ترسم قاعدة ثابتة لسلوك الشخص مع نفسه وبإزاء الله و الناس، بمعنى ان يكون للإنسان في حياته موقف مقرر و خطة مرسومة، حتى لا تتجاذب الأهواء و الانفعالات. فإذا بلغ الإنسان هذه المرتبة كان حكيما؛ وآية الحكمة فيما يلازم سلوك الانسان من ثبات و استقرار لكن هذا الثبات يجب أن يكون في فعل الخير ،وليس الخير هو ما يطلبه جمهور الناس عادة من اللذات أو المال أو الصيت أنما الخير الذي عنده هو جمال الروح ، هو الحب و السماحة، والسلام.

ه-مدرسة الامام في العالم الإسلامي:

*في سوريا:

سوريا هي أكثر بلاد الشرق الأدنى تأثرا بالأستاذ الامام، استطاع أن يجذب الكثير من الأصدقاء و المريدين ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: "شكيب أرسلان، رشيد

[1]نفس المرجع-ص223.

رضا، عبد القادر المغربي، كرد علي، جمال الدين القاسمي، عبد القادر البيطار، عبد الحميد الزهراوي، محمد زاهد الكوثري، عبد القادر الترمانينى".[1]

*في تركيا:

أما في تركيا فقد كتب إلى الأستاذ "محمد شرف الدين" مدير المعهد الإسلامي بكلية الآداب بجامعة إسطنبول، يقول أنه قام بتدريس مذهب الامام كما هو مبين في" رسالة التوحيد " وترجم الفصل الذي كتبه الامام عن مسألة زيد و زينب وصلتهما بالنبي عليه السلام، و هي المسألة التي كثر الجدال حولها بين المسلمين و المستشرقين.

*في افريقيا الشمالية:

وقد كان للأستاذ أثر ظاهر في افريقيا الشمالية بفضل مجلة المنار، أراد الأستاذ الامام ابان عودته من أوربا، أن يقف بنفسه على أحوال المسلمين في افريقيا الشمالية، فقام برحلة إلى الجزائر وتونس، ومن أنصار تجديد الامام في الجزائر "محمد بن الخوجة" وهو مؤلف كتب إسلامية عديدة، وكذلك الشيخ "عبد الحليم بن سماية". وكانت لهذه الزيارة حسب ما يرى "هنري لاووست" دافعا لتأسيس حزب العلماء المصلحين بالجزائر.

*في ايران:

ومن تلاميذ الأستاذ الإمام في ايران الكاتب الفارسي "زكاء الملك"محرر مجلت "تربيت" الفارسية التي تصدر في طهران وقد قامت بين الرجلين صلات وثيقة؛ لم تنقطع المراسلات بينهما.

*في الهند:

امتد مذهب محمد عبده الإصلاحي حتى بلاد الهند ويكفي لتقدير ذلك تصفح المجلد الأول من مجلة "المنار". وقد تلقى الإمام كثيرا من الرسائل من الهنود المسلمين، يستفتونه في مسائل دينية شق عليهم فهمها على حقيقتها، ومن المعلوم أن "رسالة التوحيد"، ترجمت

[1] نفسه-ص227.

منذ زمن طويل إلى اللغة الأوردية، وأصبح للكتاب قيمته كمصدر من المصادر الدينية الرئيسة، وهو يشغل مكانة بين الكتب التي تدرس في جامعة عليكرة(أليجار).

خاتمة

خاتمة:

كانت محاولتنا في هذه الدراسة هي التوصل إلى مجموعة من النتائج تتمثل في ما يلي:

- ظهور محاولات الإصلاح في العالم العربي و الإسلامي أهمها الاتجاه الإصلاحي الديني في الحجاز مع "الحركة الوهابية". بالإضافة إلى الاتجاه الإصلاحي بقيادة العلامة "جمال الدين الأفغاني"، وكان رائد للفكر المتجدد و الإصلاح السياسي و الاجتماعي و التربوي بالإضافة إلى الإصلاح الديني.

- كان مفهوم الإصلاح لدى الأستاذ الإمام أكثر اتزانا ومتانة وكان كخلاصة للمشاريع السابقة عليه وقد سعى إلى الإصلاح في الكثير من المجالات على غرار الجانب الديني كما فعل الوهابيون و الجانب السياسي كما قام بذلك الأفغاني.

- حيث جاء بهدف التخلص من الجمود الديني وكانت غايته تحديد منهج التفكير عند أئمة الإصلاح، وذلك بالرجوع إلى مصادر العقيدة وأصولها النقلية و العقلية.

- تلى الإصلاح الديني بالإصلاح التربوي و خاصة اصلاح مناهج التربية التلقينية الى منهاج أكثر حداثة و الاستفادة من المناهج الغربية الحديثة بالإضافة إلى دمج مختلف العلوم ودمجها بالتعاليم الإسلامية، واعتبر أن النهضة لن تقوم إلى بالإصلاح التربوي واعتبرها هي مفتاح باب النهضة العربية و الإسلامية.

- نادى في الجانب الاجتماعي بضرورة حرية المرأة و تعليمها وحتى المساوة بينها وبين الرجل و السعي وراء الدفاع عن حقوقها فعماد الأسرة هي وهذه الأخير أساس قيام أي مجتمع.

- نادى بالإصلاح السياسي ضامن لحق الرعية عن طريق الشورى و القانون ولم يرفض النظام المعاصر الذي يمثل صورة من صور العدالة الاجتماعية من خلال ما يتميز به من حرية و استقلالية و مشاركة الشعوب في ممارسة العمل السياسي.

- لم يمنع هذا كله من ظهور جملة من المنتقدين للمشروع الاصلاحي لمحمد عبده، وفي شتى المجالات. كما أن العديد من المفكرين أنصف الأستاذ الامام و اعتبروه بأنه همزة

وصل بينه وبين الحقبة التي تلته و لولا الأستاذ الإمام لكانت الحركة الإصلاحية توقفت مع الأفغاني.

- امتد المشروع الإصلاحي لمحمد عبده داخل محيطه ليستكمل مشروعه خيرة تلامذته في مجالات متعددة، ولم يكن مشروعه الإصلاحي حكرا على الرقعة الجغرافية المحيطة به بل امتد صداه إلى العالمية وجاب فكره و مشروعه جملة من الربوع الإسلامية و العربية الأخرى.

وبناء على هذه النتائج نستنتج أن الفكر الإصلاحي للأستاذ الإمام، كان قد استند إلى خلفية تاريخية إسلامية متينة، وكان قائم على رصيد معرفي متين، ومنهج استقى أصوله من آراء النوابغ و المذاهب الإسلامية، كما أن رؤيته كانت واضحة المعالم لهدف مرجو. هذا يفضي بنا إلى الحكم على أن مشروع محمد عبده لم يكن اعتباطيا، بل فعلته جملة من الأسباب والظروف التي مكنته من إدراك مشكلات الإصلاح والنهضة الحضارية وتبلورت في بناء هذا المشروع الضخم الذي ربطه بأصول الشريعة نظريا وعمليا، مع الاستجابة لمتغيرات الحياة العصرية.

إن فناء البدن لا يلغي روح وأفكار ومعارف وحماس الأستاذ الإمام التي تحيا في كل يوم مادام هناك المريدون.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

أ-المصادر

1-جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، العروة الوثقى، مكتبة الشروق الدولية-القاهرة، ط1-2002.

2-محمد عبده، دروب النهضة أحاديث في الثقافة وشؤون الأمة، دار المعلم-الأردن، عمان، ط1، 2003

3-محمد عبده-مذكرات محمد عبده تقديم و تعليق طاهر الطناحي –مؤسسة دار الهلال

4-محمد عبده- الأعمال الكاملة- ت. محمد عمارة- دار الشروق القاهرة-ج1- ط1-1993.

5-محمد عبده- الأعمال الكاملة- ت. محمد عمارة- دار الشروق القاهرة-ج2- ط1-1993.

6-محمد عبده- الأعمال الكاملة- ت. محمد عمارة- دار الشروق القاهرة-ج3- ط1-1993.

7-محمد عبده- الأعمال الكاملة- ت. محمد عمارة- دار الشروق القاهرة-ج4- ط1-1993.

8-محمد عبده- الأعمال الكاملة- ت. محمد عمارة- دار الشروق القاهرة-ج5- ط1-1993.

9-محمد عبده-شرح مقامات الهمذاني-المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيون بيروت-ط1-1924.

10-محمد عبده-الكتابات السياسية-تقديم محمد عمارة-وزارة الثقافة و الفنون و التراث-الدوحة-دط-2013.

11-محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المنار-القاهرة-ط4-1945.

12-محمد رضا رشيد-تاريخ الأستاذ محمد عبده-ج1-مطبعة المنار-1323ه .

ب-المراجع

1-أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة-مصر، د ط، 2012.

2-أحمد شناوني- الخالدون من أعلام الفكر-تحقيق طه عبد الرؤوف سعد- دار الكتاب العربي القاهرة مصر- ط1-2007.

3-أحمد الكاتب، الفكر السياسي الوهابي قرأه تحليلية، مكتبة مدبولي القاهرة، دط، د س.

4-تشارلز أدمس-الإسلام و التجديد في مصر-ترجمة عباس محمود-مراجعة زكريا.

5-زكي الميلاد، من التراث الى الاجتهاد، المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء المغرب، ط1، 2004.

6-زكي الميلاد-مقال: محمد عبده وتطور الفكر الإصلاحي-مؤسسة مؤمنون بلا حدود.

7-صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة في العصر الحديث، مركز الحضارة العربية-القاهرة، ط2003،1.

8-عباس محمود العقاد-عبقري الإصلاح و التعليم الامام محمد عبده-مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة.

9-عبد الحميد درويش النساج ، الفكر العربي الحديث، عالم الكتاب، ط1، 2014،

10-عبد الكريم بوصفصاف-الفكر العربي الحديث و المعاصر محمد عبد و ابن باديس-دار مداد-قسنطينة-ج1-ط1-2009.

11-عبد الرحمان محمد بدوي-الامام محمد عبده و القضايا الإسلامية-مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتب.

12-عثمان أمين-رائد الفكر المصري الامام محمد عبده-المجلس الأعلى للثقافة.

13-عزمي زكريا، أبو العز، الفكر العربي الحديث والمعاصر، دار المسير-عمان، ط1، 2012.

14-علوان السعيد، فلسفة ابن باديس في الإصلاح و المفهوم، مجلة المعيار، العدد 42جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2007.

15-علي المحافظة، الاجتهادات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، الأهلية للنشر و التوزيع-بيروت، دط، 1987.

16-عمار بن مروان، عبد الحميد بن باديس و منهجه في الدعوى الإصلاحية، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع-تيزي وزو،2010.

17-فهمي جدعان-أسس التقدم عند مفكري الإسلام و العالم العربي الحديث-دار الشروق،بيروت-ط1-1988.

18-محمد محمد حسين-الإسلام والحضارة الغربية-دار الفرقان-دط-1985.

.الشلق-اعداد الهيئة العامة لدار الكتاب و الوثائق القومية إدارة الشؤون الفنية،الجزيرة-القاهرة-دط-2015.

19-محمد عمارة- الإصلاح بالإسلام- دار النهضة مصر- ط1- 2006.

20-محمد عمارة- محمد عبده مجدد الدنيا و الدين- دار الشروق- ط2- 1988.

21-محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني المفتري عليه، دار الشروق، ط1، 1984.

22-مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر و التوزيع- الأردن، عمان، ط2، 2009.

23-معن زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب-الكويت، د ط، د س.

ج-الموسوعات و المعاجم:

1-ابن منضور، لسان العرب، م2، دار الصادر للنشر والتوزيع-بيروت.

2-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج1.

الملخص

الملخص:

ما نخلص إليه في الأخير أن مشروع الإصلاحي "لمحمد عبده" لم يكن أبدا اعتباطيا و لا وليد العشوائية بل مهدت له أسباب ذاتية و موضوعية داخلية و خارجية حتى صنعت الرجل، حيث تطرقنا في دراستنا هذه إلى المجالات التي أخذها بالإصلاح و هي : الإصلاح الديني و التربوي و الاجتماعي و السياسي ، كما عرضنا مختلف الانتقادات التي تعرض لها الأستاذ الامام عربيا و غربيا، بالإضافة إلى الامتداد الذي بلغه المشروع الإصلاحي في الربوع العربية و الإسلامية.

الكلمات المفتاحية :

الجامعة الإسلامية– سلفي عقلاني–التربية– الشورى و القانون.

Abstract:

What we conclude in the end is that the reform project of "Muhammad Abdo" was never arbitrary nor the result of randomness. Rather, subjective and objective reasons, both internal and external, were paved for it until it made the man. In our study, we dealt with the areas that he took with reform, which are: religious reform and Educational, social and political, and we also presented the various criticisms that the Imam was exposed to in the Arab world and in the West, in addition to the extension that the reform project has reached in the Arab and Islamic quarters.

Keywords :

The Islamic University - Rational Salafi - Education - Shura and Law.

Résumé :

Ce que nous concluons en fin de compte, c'est que le projet de réforme de << Muhammad Abdo >> n'a jamais été arbitraire ni le résultat du hasard. Des raisons plutôt subjectives et objectives, internes et externes, y ont été préparées jusqu'à ce qu'elle fasse l'homme. Dans notre étude, nous avons traité des domaines qu'il a pris avec la réforme, à savoir: la réforme religieuse et Sur le plan éducatif, social et politique, nous avons également présenté les différentes critiques auxquelles l'Imam a été soumis dans le monde arabe et en Occident, en plus de l'ampleur du projet de réforme dans les quartiers arabe et islamique.

Mots clés:

L'Université Islamique - Rational Salafi - Education -Shura and Law